مجلة شكرية

Issue No: 100 :عدد

December 2015 كانون اوّل

نور المسيح يسوع المسيح الغالب

ΦΩΣ XΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

كنيسة خورة للرّوم الأرثوذكس

في مدينة القسطنطينيّة

مَلِكَة مملكة ممالك الملوك

علم الإمبراطوريّة الروميّة

وَلَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ أَرْسَلَ اللّهُ ابْنَهُ

اكتتاب العذراء مريم ويوسف الصدّيق
في فترة كيرينيوس والي سورية
من روائع أيقونات كنيسة خورة

العذراء مريم في طريقها الى بيت لحم،
مع يوسف الصدّيق، ويعقوب أخي الربّ
من روائع أيقونات كنيسة خورة

لقد اكتُتِبَت مريم في ذلك الزمان
مع يوسف الشيخ في بيت لحم.
لانها من نسل داود. وكانت حُبلَى الحَبل الذي بلا زرع.
فلما حان أوان الولادة ولم يكن في القرية مكانٌ ينزلان فيه.
بدَت المغارة لعَينيْ مريم الملكة بلاطًا انيقًا.
إنَّ المسيح يولد ليُنهِض الصورة التي سقطت منذ القديم

محتويات العدد

2	الكنز المخفي
3	كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث
4	عن حراسة الأفكار للقديس باسيليوس الكبير
5	الخطيئة الجدية حسب آباء الكنيسة
7	المسيح في رسائل القديس يوحنا اللاهوتي
8	لما جاء ملء الزمان
11	صوم الميلاد لماذا تصوم الكنيسة
12	القديس نكتاريوس العجائبي
14	القديس نيقولاوس العجائبي
16	الأعياد بين العهدين القديم والجديد
19	قصة من واقع الحياة اللؤلؤة الكثيرة الثمن
21	سرّ الصليب
22	الأرثوذكسيّة قانون إيمان لكل العصور
23	العظات الثماني عشرة للقديس كيرللس الأورشليمي
الغلاف الأخير	العهد القديم ٨٤
الغلاف	كنيسة خورة للروم الأرثوذكس في القسطنطينية

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا - الشارع الرئيسي - ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:

12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

الكنز المخفي

في أحد أحياء مدينة (**كنساس**) بأمريكا أُصيبَ رَجلٌ في ٱنفجارٍ وفَقَدَ **يديه**. كما أُصيبَ وجهه بجراحاتٍ خطيرة، وفقَدَ **عينيه** أيضًا، فلم يَعُد قادرًا على القراءة.

وفي هذه المرارة ٱشتاقَ أن يقرأ الكتاب المقدّس لكي يتعزّى قلبه.

فَبَدأ يسأل، كيف يمكنني قراءة الكتاب المقدّس وقد فَقدتُ **عينيَّ ويَدَيَّ** ؟

قيلَ له هناك سيّدة في انجلترا تستمتع بقراءة الكتاب المقدس بشفتيها، إذ تستخدمهما بدلًا من الأصابع، لتقرأ الكتاب المقدّس بالحروف البارزة (Braille) .

اتصل بهيئة لكي تُرسِل له الكتاب المقدّس البارز الحروف ليتعلّم القراءة بشفتيه . لكن قبْلَ أن يَصِل إليه الكتاب ٱكتَشَفَ أنَّ **أعصاب شَفَتيه** قد تحطّمَت تمامًا، وبالتالي لن يستطيع ٱستخدامها في لَمس الحروف البارزة والقراءة بواسطتها.

ولكن بعد أن وَصَلَهُ الكتاب المقدس المكتوب بحروفٍ بارزة، بدأ يتعلّم القراءة بلمس الحروف بلسانه وكان يجد عذوبة وتعزية كبيرة في قراءته. حتى أنه ذات مرة قال: (قرأت الكتاب المقدس كلّه أربع مرات .. وقرأت بعض الأسفار مراتٍ كثيرة). إنه لمن المؤكّد أن هذا الرجل سيدين الملايين من البشر الذين وهم بكامل صحتهم، لا يرغبون في قراءة كلام الحياة.

تُرى ماذا ستجاوب المسيح الديّان في يوم الدينونة المخوف عن تقصيرك في قراءة الكتاب ؟

لا تقُل: لا يوجد **وَقت** .. بل قُل لا يوجد رغبة .

فلماذا يوجد وقت للأكل والشرب ؟

لماذا يوجد وقت نقضيه في الملاهي ؟

لماذا يوجد وقت للنزهة والمصايف ؟

إنَّ مَن يهملون قراءة الكتاب المقدّس ينتسبون إلى المسيحية **بالاسم فقط**، بل والأكثر من هذا قد نجد في بيوتهم كل شيء إلّا الكتاب المقدس، او قد نجده وقد علاه التراب، فاصبح أقرب إلى التُحَف الموضوعة **كزينةٍ** في البيت.

ومن الغريب أن وقت هؤلاء، يتسع لقراءة مختلف الصحف والمجلات، ولا يتسع لقراءة كلام الحياة. يجب أن نقرأ الكتاب المقدس، ونقرأه بعمق، لكي نتمكن من ٱستخلاص دَسَم الكلمة المعزّي لأنفسنا وأرواحنا والإلمام بما يَكنّه من أسرارٍ عميقة وآدابٍ سامية.

ويجب أن نقرأه بروح ٱلشوق والرغبة ..

فالإنسان لا يستفيد من الطعام الذي يأكله، إلّا إذا شَعَرَ بالشهيّة في تناوله. وهكذا كلمة الله لا نستطيع أن نهضمها لتسري عصارتها في أرواحنا، إلّا إذا قرأناها بدافع ٱلشوق والرغبة ٱلملحّة. «وُجِدَ كلامك فأكلته فكان كلامك لي للفرح ولبهجة القلب» (إر ١٥:١٦).

ويجب عند قراءة الكتاب المقدّس أن نطلب مؤازرة روح الله لنا لإنارة أذهاننا لنفهم كلماته المحيية. وعندها سنشعر بأن الله يتكلّم معنا فَمًا لِفَمٍ. «حينئذٍ فتح ذهنهم ليفهموا الكُتب» (لو٢٤ : ٤٥) . إنّنا نهتم جدًّا بتخصيص أوقاتٍ لطعامنا الجسدي ولكن ...هل نهتم بتخصيص أوقاتٍ لطعامنا الروحاني وقراءة كلام الحياة ؟

إنّ رجال الله القديسين في كل زمان كانوا يواظبون على قراءة الكتاب المقدس، ويغوصون في أعماقه، وفي أسراره الكامنة بين السطور، ليستخرجوا من أعماقه الجواهر واللآلىء الثمينة، والدُّرَر النفيسة، وذلك بعد البحث والتأمل بين سطوره. «من أجل ذلك كُل كاتبٍ متعلّم في ملكوت السموات يشبه رجُلًا ربّ بيت يُخرِج من كنزه جُدُدًا وَعُتَقاء» (متّى ١٣:٥٢).

لقد كَثُرت في أيامنا هذه المؤلفات عن الكتاب المقدس وَقلّت المطالعة فيه.

إقرأ أيها الحبيب الكتاب واغترِف من كنزه التأملات. إقرأه فهو ينبوع الحياة. فحياتك لن يكون لها طَعمٌ بدون كلام الحياة الذي يغذّي ويشفي أعماقك .. عليك أن تغوص في أعماقه، لتجد الأسرارٌ الكامنة في حناياه. ابذل كل جهد لكي تَصِل إلى الكنز المخفي والجوهرة المرتفعة الثمن.

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة تذكار أحد الآباء الأجداد

غبطة البطريرك ثيوفيلوس الثالث

«في ٱحتفالنا اليوم بتذكار الجدود لنسبّحنَّ بإيمانٍ يا مؤمنون، المسيح الفادي الذي عظَّمهم في جميع الأمم، والربَّ الصانع غرائب العجائب، العزيز القدير. الذي أبرز لنا من نسلهم عصا قوّةٍ. هي مريم فتاة اللّه النقيّة التي وحدها لم تَذُق خبرة الزواج. ومنها بزغت الزهرة أي المسيح الذي أثمر للجميع الحياة والنعيم الخالد والخلاص الأبدي» (اللحن الثامن – صلاة الغروب).

أيّها الأبناء المحبوبون بالربّ الفادي، يسوع المسيح .
أيّها الزوّار الحسنو العبادة

إنّ كنيستنا المقدّسة الإلهيّة ، تدعونا اليوم وبفم مرتّم الكنيسة ، لكي نحتفل ونُقيم تذكار القديسين الأجداد ولنسبّح فادينا المسيح الإله.

إنّ الاحتفال بتذكار الآباء الأجداد القديسين يأخذ بُعدًا روحانيًّا عميقًا؛ كوننا نقيم هذه الشعائر في المكان المقدّس، حيث الرعاة الساهرون على قطعانهم «وإذا ملاك الربّ وقف بهم ومجد الربّ أضاء حولهم ... وظهر بغتة مع الملاك جمهورٌ من الجند السماوي مسبّحين اللّه وقائلين: المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالنّاس المسرّة». في هذا الحدَث الهام والمميّز كان للجنس البشري دور الشاهد لتجسّد وتأنّس كلمة الله (المسيح الإله والإنسان) في المغارة القابلة الإله، الواقعة قرب مدينة بيت لحم.

إنّ الآباء الأجداء، وخاصّة عميدهم وركنهم الأوّل وأبا الآباء البطريرك إبراهيم الذي كان مسقط رأسه بلاد الكلدانيين، قد تربّى في بيتٍ وثني يعبد والده الأصنام ، عِلْمًا أنّ إبراهيم كان نبيهًا ذا لُبٍّ نقيٍّ طاهر، لذا وبموهبة خاصّة رَفَض السجود والعبادة للأصنام، لأنّ هناك بونًا كبيرًا بين الخالق والمخلوق ، فحاشا أن يكون الله من ضمن هذه المخلوقات ، وبإلهامٍ روحاني في فهم نظام الكائنات والمرئيات، ٱستطاع أن يسبّح ٱلإله غير ٱلمنظور ، فدُعي بخليل الله وسجد له كإله (الله غير المنظور).

لهذا السبب أصبح أبًا لكثيرين من الأمم ، ومنه وُلِدَ البطاركة إسحق ويعقوب ، ومن يعقوب وُلِدَ يهوذا وإخوته ، ومن سبط يهوذا وُلِدَ الآباء الأجداد، ومن نسلهم وُلِدَ المسيح.

بكلامٍ آخر فإنّ إبراهيم يُصبح جَدّ المسيح لأنّه من نسله: «يظهر لنا عصا قوّة هي مريم فتاة الله النقيّة التي وحدها لم تَذُق خبرة زواج. ومنها بزغت الزهرة أي المسيح الإله مخلّصنا وفادينا». وبالإضافة لهذا الحدث فقد تنبأ مُسبقًا أشعياء النبيّ القائل: «ولكن يُعطيكم السيّد نفسه آية. ها العذراء تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمه عمانوئيل» (أشعياء ٧: ١٤).

ويرتّل مرتّم الكنيسة: «لقد أصبح بنو إبراهيم أنبياء إلهيين كليّي الحكمة. فسبقوا عن حرارة قلبٍ وأخبروا بالروح القدس عن الكلمة، أنّه يولد من نسل إبراهيم ويهوذا . فبتضرعاتهم يا يسوع إرأف بنا جميعًا».

كنيستنا الأرثوذكسيّة الرسولية المقدّسة ، وخاصة كنيسة أورشليم التي منها ارتقى وبأصالة ، خليفة الأجداد ومن نسب وصلب إبراهيم **القديس يعقوب أخي الربّ أوّل رؤساء أساقفة أورشليم على كرسي الخلافة الرسوليّة** الممتدة بقوّة وثبات وبدون توقّف ، معطية شهادتها الكاملة والحقيقيّة للمسيح ، ليس فقط بالطريقة التبشيريّة أو الشركة الإلهيّة أي ليتورجيًّا ، بل بالطريقة الطبيعيّة الحرّة الأصيلة ، أو لِنَقُل بأكثر دقّة فإنّها تقدم شهادة أصيلة بدورها التاريخي في الحفاظ والخدمة والوقاية والسهر، بكل بطولة وأريحيّة وشهامة في حفاظها على الوزنة التي أودعت بين يديها ، ألا وهي الأماكن المقدّسة التاريخيّة ، والمزارات الشريفة والطبيعيّة الموجودة: مثل هذا المكان المقدّس، مكان الرعاة الساهرين في مدينتكم العامرة ، والمكان المقدّس في مدينة بيت لحم حيث المهد الشريف ، وكذلك الأماكن المقدّسة للصلب والقيامة في أورشليم.

بكلام آخر أيّها الأخوة الأحباء

كنيسة المسيح هي جسد **ٱلإله ٱلإنسان** ربنا يسوع المسيح ، تُعبّر عن الحدود البيولوجيّة والإثنيّة وعنصر الإنتماء ، فهي فُلك سرّ التدبير الإلهيّ. يعني الفُلك الذي به وفيه يتمّ تحقيق سرّ الخلاص للبشرية جمعاء بالمسيح.

هنا يتضرّع المرتّم قائلاً: «لقد برَّرت الجدود بالإيمان أيها المسيح الإله. وسبقت فخطبت بهم الكنيسة التي من الأمم. فالقديسون يفتخرون مُباهين بأنّه من نسلهم أينعت ثمرة شهيرةٌ شريفة. هي الفتاة التي ولدتك بلا زرعٍ. فبتضرعاتهم خلّص نفوسنا».

أيها الأخوة الأحباء

كنيسة المسيح تهيّئنا بفم آبائها القديسين حاملي الإله ، لنجهزّ ونعدّ نفوسنا لنعيّد ميلاد المسيح بالطريقة الروحانيّة الإلهيّة ، وليس بالطريقة الجسديّة والدنيويّة ، بالطريقة الملائمة والمناسبة لله ، وليس بالطريقة الأثنيّة والأمميّة كما يأمرنا الرسول بولس: «فأقول هذا وأشهد بالربّ أن لا تسلكوا في ما بعدُ كما يسلكُ سائر الأمم أيضًا ببطل ذهنهم إذ هم مظلمو الفكر ومتجنّبون عن حياة الله لسبب الجهل الذي فيهم بسبب غلاظة قلوبهم». (أفسس٤: ١٧-١٨).

هلمّوا نحتفل كلّنا بالتذكار السنوي للآباء الذين نبغوا قبل الشريعة، إبراهيم والذين معه ، ونكرّم سبط يهوذا بحقٍ واجبٍ، ونعتصم بدقّة بأقوال الأنبياء. فنهتف مع أشعياء النبيّ بصوتٍ عظيم قائلين: «ها إنّ العذراء تحبل وتلد إبنًا هو عمانوئيل الذي تفسيره اللّه معنا».

هذا هو بالتدقيق آبن العذراء مريم عمانوئيل فنمجّده بقلوب نقيّة وحارّةٍ.

هذا هو عمانرئيل الذي حنى السموات ونزل إلى الأرض. المسيح قد وُلد فمجدوا ، المسيح أتى من السماء فاستقبلوا.

هذا لأنّه كما يقول مرنّم الكنيسة: الآن يأتي رجاء الأمم وافدًا من العذراء. وبيت لحم تفتح عدنًا المغلقة فتحًا يليق باقتبال الكلمة متجسّدًا يُضجع الجسد في مذودٍ. آمين

وكل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

عن حراسة الأفكار ؟ للقديس باسيليوس الكبير

❖ ما علاقة النفس بالعقل؟ ❖ وبين النفس والجسد؟ ❖ الدرجات الروحانية العالية إذا سار العقل والجسد في الوضع الطبيعي. ❖ كيف ينشأ الانحراف ؟! ❖ القوّتان اللتان للنفس، وعمل وطبيعة كلٍ منهما. ❖ ولمن تكون القيادة للسير حسب المنهج السليم ؟ ❖ الجسد ليس علّة الشرّ. ❖ كيف تُرَوِّض النفس حركات الجسد ؟

مُقَدِّمة:

† قبل كُلِّ شيء ينبغي لنا أن نضبطَ الأفكار - بكل وسيلة - ونتَيَقَّظَ ونحترسَ، ونحفظ قلوبنا بكل ثبات، فلا نسمح لنفوسنا أن تعبث بنا، بل نلجمها (نضبطها) عن الميل الى آلام الجسد (شهواته) بحركاتٍ غير جيّدة.

علاقة النفس بالعقل:

† نور الجسد هو العين. وبصيرة النفس هي العقل، المخلوق فيها بالطبع. ولستُ أقول إن العقل هو غير النفس، كأنهما منفصلان أحدهما عن الآخر. كَلَّا !!

† بل إن النفس والعقل متحدان، لأن العقل قوّة طبيعية للنفس، وهو أحشاؤها (جزءٌ منها). خُلِقَ معها، وليسَ غريبًا عليها، ولا دخَلَ عليها بعد زمان.

الوضع الطبيعي الصالح:

† فإذا ما تحرَّكتْ النفس الى العقل، الذي غرسه الثالوث القدوس فيها، وفكر العقل فيما ينبغي - ويليق بالله - حينئذ تصير النفس مُخَلَّصة، وتهرب من جميع استعمالات الآلام.

† وعندما تسبق النفس، فتنتظر حركات الجسد وتضبطها، حينئذ تكون في هدوء وورع يليقان بها. فإذا ما سارت في معارج الفضائل -كطبيعتها - فإنها تبقى مُتَفَكِّرة في جميع أعمال الله ومجده، بخوفٍ وهدوءٍ، من غير قلق.

† بل دفعات تجدها تتفكر في مجد اللاهوت، الذي لا يُدرَك من أجل عظمة نوره. وتبقى مفكّرة في ذلك النور الطوباوي، والحكمة التي ليس لها انتهاء ولا اضطراب.

القديس باسيليوس الكبير رئيس أساقفة كبادوكية

† فإذا ما حفظت النفس عقلها متيقظًا -كَطبعها - وفكّرت فيما ينبغي، فلابدّ للعقل أن يكون دائم التأمل في الأعمال المُمَجَّدة (Theoria) وكل ما هو للسلام.

الخطيئة الجدّية

بحسب آباء الكنيسة

الأب يوحنا رومانيدس

نقلها الى العربية الأب أنطوان ملكي

حلّل **الأب رومانيدس** كتابات آباء القرون الأولى في الكنيسة المسيحية، واستنتج أنّه بالرغم مما يراه الغرب المسيحي بأن أوغسطين هو أول كاتب ومدقق عالج هذا الموضوع "**الخطيئة الجدية**"، إلا إنّ عددًا من الكُتّاب الآبائيين الشرقيين عالجوا الموضوع نفسه، وتوصّلوا إلى استنتاجات مختلفة عمّا توصّل إليه أوغسطين. هذا يعني أنّ الفهم الأوغسطيني لآدم والخطيئة لم يكن الفهم الوحيد، ولا هو الأكثر أهمية بين لاهوتيي القرون الأولى. فلدى الشرق المسيحي كُتّابه الذين آتّبعوا خطًا مختلفًا في التفكير.

يضع الأب رومانيدس، كنقطة بداية، موقع الموت الذي صار لآدم وللإنسانية. ما ان ابتعد البشر عن الله، برز سلطان الموت وتبعته الخطيئة، وهذا يعني أن خطيئة الإنسان هي الابتعاد عن الله.

يستشهد رومانيدس **بالقديس باسيليوس الكبير** في قوله: "على المنوال نفسه، بقدر ما ينفصل الإنسان عن الحياة، يقترب من الموت بالقيمة نفسها. لأن الحياة هي الله، وفقدان الحياة هو الموت. إذًا، هيّأ آدم الموت لنفسه بابتعاده عن الله، كما هو مكتوب ﴿**الذين ينفصلون عنك يخسرون**﴾. وعليه، لم يخلق الله الموت، لكننا نحن جلبناه لأنفسنا بعملنا السيء. ولا هو منع الفناء للأسباب التي سبق لنا قولها: حتّى لا يخلّد المرض فينا".

من جهة أخرى، يستشهد رومانيدس أيضًا **بالقديس أثناسيوس الكبير**: "عندما ابتعد البشر عن الأبديات، بمشورة الشيطان، عادوا إلى أشياء الفساد وصاروا هم أنفسهم سبب التحوّل إلى الموت".

وحول خلق الإنسان وسقوطه، يكتب **القديس ثيوفيلوس الأنطاكي**: "لو أنّ الله خلق الإنسان منذ البداية خالدًا، لكن جعله إلهًا. من جهة أخرى، لو كان صنعه قابلًا للموت، لكن الله ظهر وكأنّه علّة الموت. لهذا صنعه لا مائتًا ولا خالدًا، كما ذكرنا سابقًا، لكنّه قابل لأن يكون أيًّا من الاثنين حتّى إذا ما مال نحو أسباب عدم الموت وحفظ وصايا الله، يستحق منه عدم الموت مكافأةً ويصير إلهًا. (بالنعمة)، أمّا إذا تحوّل نحو أسباب الموت بعصيانه الله، يصير هو علّة موته. فالله صنع الإنسان حرًا وسيّدًا".

هذا الرفض لإرجاع سبب الموت إلى الله موجود ايضًا في أعمال **القديس إيريناوس أسقف ليون**، الذي يشدّد على أنّ الشيطان هو علّة الموت. والرسول بولس لا يعلّم في أي مكان إلّا أنّ الموت هو عقاب من الله. فالله لا يعاقب مباشرة بل بطريقة غير مباشرة، بسماحه للإنسان، إذا كانت هذه رغبته، بأن يبتعد عنه وبالتالي يصير خاليًا من الحياة. لقد سمح الله بموت الإنسان،

معلّموا الكنيسة العظام: باسيليوس الكبير وغريغوريوس اللاهوتي ويوحنا الذهبي الفم

حتّى لا يصير خالدًا في الخطيئة. يقول **القديس ثيوفيلوس** "هذه بالحقيقة " إنه إحسان عظيم من الله منحه للإنسان، وهو ألّا يبقى إلى الأبد في الخطيئة". هنا تظهر نقطتان مهمتان من المقاطع المقتبَسَة أعلاه: ١) لم يخلق الله الموت، ٢) موت البارّ لم يُسمَح به بسبب الغضب الإلهي بل بسبب الإشفاق الإلهي فقط.

لا يميل الآباء الشرقيون إلى رؤية الموت وكأنّه عقاب غاضب من الله للبشر. بالأحرى، يتمسّك الآباء الشرقيون بصلاح الله، ويؤمنون بأنّه بصلاحه يمنح الإنسان الإرادة الحرّة وحرية الاختيار. **الانسان هو مَن يقرر الانفصال عن الله، وهذا هو الموت تعريفًا، إذ يفصل البشر أنفسهم عن مصدر الحياة.** لم يُخلَق البشر لا كمخلوقات كاملة ولا مكمّلة. فهم، إذ أُعطوا الإرادة الحرّة وحرية الاختيار حصلوا على إمكانية اختيار الكمال أو عدم نواله. إذًا، لا يسقط الانسان من حالة الكمال إلى بعض أشكال الوجود الأقلّ كمالًا. فالله لم يختَر بل الانسان الذي اختار، ففي النهاية هو مَن منحنا الإرادة الحرّة وحرية الاختيار. يسمح لنا الله بأن نختبر نتائج اختياراتنا. لقد مال الكُتّاب الآبائيون إلى النظر إلى الموت كنتيجة وكأن الإله الرحوم لا يسمح للانسان بأن يبقى بالخطيئة إلى الأبد. لكن نزولنا إلى قابلية الموت جعلنا عبيدًا للموت. من

هذا السجن، ينقذنا الله ويبيد السجّان الذي يعتقلنا.

لم يخلقنا الله غير قابلين للسقوط، فهذا يعني أننا بلا إرادة حرّة. لم يخلقنا الله خطأة، ولم يفرض علينا أيّ حالة من حالات **القدرية** التي لا نستطيع ونحن فيها أن نختار غير الخطيئة. لم يرغب الله بأن نخطىء أو نموت، بل سمح بأن تكون لدينا إمكانية اختيار الاثنين. إذا ما سمحنا للمحبة بأن تكون قائدتنا نصير قادرين على اختيار مشيئة الله. ما أن ابتعد البشر عن الله حتّى دخلت قابلية الموت في الصورة. وصارت قدرة الإنسان في الاختيار بشكل أضعف، وصار للموت والخطيئة تأثير على فكرنا، ما جعل اختيار الخير أمرًا اصعب على الانسان.

يقدّم **الأب رومانيدس** افتراضات أساسية حول الفهم الأرثوذكسي الشرقي للدور الذي يلعبه كلّ من آدم والخطيئة والموت في فهم كلٍ من الخلاص ومعنى أن يكون الإنسان إنسانًا.

أولًا، الموت هو مشكلة الإنسان، أكثر بكثير من الخطيئة. فالموت هو رمز انفصالنا عن الله وهو نتيجة هذا الانفصال. الموت هو آخر عدو يغلبه الله في مخططه العظيم للخلاص. البُشرى الحسنة هي إفناء الموت.

ينظر **الآباء الروميّون** إلى الخلاص من منظار كتابي، ويرونه **كافتداء من الموت والفساد وهو شفاء للطبيعة البشرية التي اعتدى عليها الشيطان**.... في **الغرب الكاثوليكي يوجد العكس "حيث لا يعني الخلاص، أولًا وقبل الكلّ، خلاصًا من الموت والفساد، بل من الغضب الإلهي"**. وهكذا يميل الشرق إلى عدم اعتبار الخلاص خلاصًا من الغضب الإلهي (وبالتالي التحرر من الله نفسه)، فالخلاص هو ما يقوم به الله نحو البشر ليحررهم من عدوّهم الحقيقي ـ **الموت**.

لم يكن السقوط بالنسبة لِلاهُوتيي الكنيسة الأوائل مسألة قانونية، بل عجز الإنسان عن بلوغ الكمال والتمجيد (theosis) لأنّه **وقع بين يدي مَن له قوة الموت**. وهكذا كان الخلاص عندهم إبادة قوة الشيطان، واستعادة الخليقة إلى مصيرها الأصلي عن طريق كمال الإنسان وتألُّهِه. ما خسره البشر في السقوط لم يكن القدرة على اختيار الخير، بل شركتهم مع الله. نحن صرنا منفصلين عن مصدر الحياة. لقد أُعطي للبشر القدرة على اختبار الاتحاد مع الله من خلال خياراتهم. لكن بالابتعاد عن الله، صاروا منفصلين عنه وخاضعين للخطيئة والموت. يسعى الله نحو البشرية بالمعونات ليقود البشر معيدًا إياهم إلى الطريق الصحيح. لكن بالمطلق، خيار الله هو إبادة الموت نفسه، حتّى تعود البشرية إلى الشركة الكاملة معه.

ما يبقى بعيدًا عنه خلال هذه العملية هو **الإرادة الحرّة**. لا يشنّ الله حربًا ضد الشرّ بالقوّة، ولا بتجريد الخلائق من الحرّية، بل بأن يحتمل الألم باستمرار بالمحبة والعدل. لم يمل كتّاب المسيحية الشرقيون إلى تحميل البشرية أي نوع من قابلية الخطيئة المقدّرة، والتي قد تحدّ حرية إرادتنا. **لذا نحن مسؤولون أمام الله عن خياراتنا. ولا يمكننا أن نلوم القَدَر أو جيناتنا أو طبيعتنا أو تربيتنا.**

نحن دائمًا نختار ونتحمّل مسؤولية اختيارنا، من هنا الصلاة غير المنقطعة في الأرثوذكسية: **"يا رب ارحم!"**.

الخيار الحرّ كان جزءًا من الكيان البشري منذ البدء، فهو في صُلب الطبيعة التي جُبِلنا عليها. فالإنسان قد خُلِق في طبيعة وَسَطيّة، فهو وسطي في قابليته للموت، وهو وسطي في خلوده. فهو مؤهّل لكلا الحالين. تشير الوصية إلى حفظ وصايا الله بالأعمال. بحسب **القديس إيريناوس**، الرجل والمرأة الأولان لم يكونا كاملين أخلاقيًا منذ البدء، وإلّا لكان هذا يعني أنه تنقصهما الإرادة الحرة، وكل أعمال البشر بالحقيقة لا معنى أخلاقي لها. لهذا، صلاحهما بلا معنى لأنّه من جوهرهما وليس من إرادتهما. فالصلاح أوتوماتيكيًا في حوزتهما. إذًا جدّانا الأولان أُعْطِيا فرصة التألّه، لكنّهما لم يكونا مخلوقيْن كامِلَيْن وحتى بلا خطيئة، لأنّ الإنسان يمكن أن يكون خاطئًا أو بلا خطيئة فقط من خلال الخيارات التي يتّخذها. لقد خُلِقَ الانسان وبقدرته ان يكون كاملًا إن شاء هذا.

عندما نأخذ بعين الاعتبار حقيقة أن الإنسان خُلِق ليصير كاملًا بالحرية والمحبة، مثل كمال الله، أي بمحبة الله وقربه تمامًا كطريقة محبة الله للعالم، يصير ظاهرًا أن موت النفس، اي فقدان النعمة الإلهية، وفساد الجسد جعلا هذه الحياة الكاملة مستحيلة. بقوة الموت والشيطان، والخطيئة التي تسود الانسان تنشئ الخوف والقلق والغريزة العمومية لحماية الذات أو الحياة survival. بسبب الموت، صار على الإنسان أن ينتبه أولًا لضروريات المعيشة لكي يبقى على قيد الحياة. في هذا الصراع لا يمكن تحاشي الاهتمامات الذاتية. وهكذا، لا يستطيع الإنسان ان يحيا بتناغم مع مصيره الأوّل أي المحبة الخالية من الأنانية.

يخسر البشر قدرتهم على أن يكونوا خليقة مُحِبة، مُحِبَّة لله وللأخ، بقدر ما يهتمّون كبشر بالبقاء على قيد الحياة والحفاظ على النفس. تدفعنا الخطيئة بعيدًا عن الله. تُظهِر المسيحية لنا طريق العودة إلى الله، إلى الكينونة بشرًا كاملين، لذا فهي تتضمّن المحبة المضحّية بالذّات: تقليد المسيح الذي نتممّه في حمل الصليب لاتّباعه.

العبادة الحقّة

إذا لَم أَجِدَ خِلاًّ تَقيًّا فوَحْدَتي ... ألذُّ وأشْهَى من غَوِيٍّ أعاشِرُهْ

وأجلسُ وَحْدِي للعبـادَةِ آمنًا ... أَقرُّ لِعَيْشِي مِنْ جليسٍ أُحاذِرُهْ

المسيح
في رسائل القديس يوحنا اللاهوتي البشير (٣)

٣ – يسوع هو المسيح (Ἰησοῦς ὁ Χριστός)

بالتوازي مع لقَب «ابن الله» ، ومرادفٌ له تقريبًا، يستخدم القديس يوحنا لقب «المسيح» ليُعَبِّر به عن الطبيعة الإلهيّة ليسوع، والمُصطَلح بهذا المعنى نادرًا ما يَرِد في العهد الجديد. (تعبير «المسيح» ورد ١١ مرّة في رسائل يوحنا ...)

والأهميّة اللاهوتية لتعبير «المسيح» هو بدون مقارنة أوسع من المعنى المُستخدم في العهد القديم والكنيسة الأولى. ويأتي هنا في الرسائل مرادفًا لتعبير «ابن الله» ويحل محله (١يو٥:٦) ويرتبط مع تعبير «يسوع» ليُعَبِّر عن يسوع بوصفه إلهًا متجسّدًا. وتعبير «يسوع المسيح» هذا لا يحمل ملامح الفكر اليهودي, بل هو تعبير خريستولوجي واضح ومقبول عند من يكتب لهم القديس يوحنا رسائله. ويشير هذا التعبير إلى ٱعتراف إيماني مع ٱعتراف ٱلإيمان بانه «ابن الله» ، «وهذه هي وصيته أن نؤمن باسم ٱبنه يسوع ٱلمسيح» (١يو٣:٢٣ ، ٥:٢٠). أو يشير التعبير «يسوع المسيح» إلى صيغة إيمانٍ تأتي منفردة مثل: «مَن هو الكذّاب إلّا الذي يُنكر أنّ يسوع هو المسيح» (١يو٢:٢٢) أو «كُل روح يعترف بيسوع المسيح أنّه جاء في الجسد فهو من الله» (١يو٤:٢٦).

ونَصُّ القديس يوحنا (١يو٢:١) يشهد على أنّ «لنا شفيعًا عند الآب يسوع المسيح البارّ» ، وما جاء في الرسالة الثانية آية (٩) يُعتَبر القاعدة والأساس لعلاقتنا بالله «كُل مَن تعدَّى ولم يثبت على تعاليم المسيح فليس له الله ، ومَن يثبت في تعليم المسيح فهذا له الآب والابن جميعًا» (٢يو٩).

ومن الشواهد التي تُستَخدَم فيها تعبير «المسيح» في الرسائل نستنتج أنه مُصطَلح مرتبط بشدّة بتعبير «ابن الله» ومع أن المصطَلح الأخير هو المُفَضَّل في ٱلاستخدام بالنسبة للقديس يوحنا،إلّا أنّه لا يُمثِّل مُجَرَّد ٱسمٍ سيِّديٍّ ، كما يحدث عادة في رسائل بولس الرسول وأسفار العهد الجديد، بل يدل على ألوهيّة ٱلابن في علاقته بالله الآب (١يو١:٣، ٢٢، ٢٣،٢:١ ، ٤:٢ ، ٥:١ ، ٦ ، ٢يو٧، ٩). وفي هذا المعنى يَجدُر بنا أن نفهم ما كتبه يوحنا في الآيات (١يو٤:٢ ، ٥:١-٦ ، ٢يو٧-٩) كما يمكن أيضًا القول إنّ في هذه الآيات مصطلح « Χριστός » أخذ بُعدًا لاهوتيًّا. وفيما يلي هذه الآيات:

«بهذا تعرفون روح الله كل روح يعترف **بيسوع المسيح** أنه قد جاء في الجسد فهو من الله» (١يو٤:٢).

«إنّه قد دَخل إلى العالم مُضِلُّون كثيرون لا يعترفون **بيسوع المسيح** آتيًا في الجسد هذا هو المُضِلّ والضِّد للمسيح» (٢يو٧).

«كُل مَن يؤمن أن **يسوع هو المسيح** فقد وُلِدَ من الله وكل مَن يحبّ الوالد يحب المولود منه أيضًا» (١يو٥:١).

«كُل مَن تَعدَّى ولم يثبت في تعليم **المسيح** فليس له الله ومن يثبت في تعليم المسيح فهذا له الآب والابن جميعًا» (٢يو٩).

«يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا وإن أخطأ أحدٌ فلنا شفيعٌ عند الآب **يسوع المسيح** البارّ» (١يو٢:١).

في الآيات (١يو٤:٢، ٥:١-٦ ، ٢يو٩) حيث يَصِف القديس يوحنا، يسوع، بأنّه كلمة الحياة، ابن الله الأزلي الآتي من فوق. الكائن في حضن الآب، الذي أظهَر لنا الله ، وفي ٢يو٧:٧ يصبح هو ربّ التاريخ، إذ هو محور خلاص البَشر. والرِباط الذي يُوَحِّد الأرض والسماء، الإنسان والله الآب.

في (١يو٢:١) يسوع – الشفيع، هو الكائن قبل كُل الدهور مع الآب، وهو كَفّارة لخطايانا إلى الأبد.

ومما سَبَقَ تتضّح الأبعاد اللاهوتية التي يكتسبها المصطلح الخريستولوجي « Χριστός » في رسائل يوحنا الرسول، كمرادفٍ وَمُعَبِّر عن مُصطَلح «ابن الله» وعلى عكس الهراطقة، الذين ٱستخدموا في تعاليمهم، تعبير « Χριστός » للدلالة على الكائن الروحاني الذي سَكَنَ في المسيح في الأرض، فإنّ **القديس يوحنا** يصيغ التعاليم الصحيحة عن يسوع بأنه هو « **كلمة الحياة** » ، و «**الله الأزلي**» ، «**ابن ٱلله**».

ولمّا جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه

(غلاطية ٤: ٤)

«لمَّا جاء ملء الزمان»

ملء الزمان هو الزمان المُعيَّن من الله، لكي يُتمِّم كل ما كان قد نواه فيما يتعلّق بخلاص الإنسان الذي قد خلقه على صورته ومثاله، وسلَّطه على كل مخلوقاته، ووضعه في جنة عَدْن ليعملها ويحفظها، وأعطاه حواء لكي تكون مُعينة له، إذ خلقها له من أحد ضلوعه، وأوصاه وصية واحدة تربطه بإلهه وخالقه، طالما كان حافظًا لها، فهو بحريته يحفظها حُبًّا فيمَن أنعم له بالحياة من العدم، ومَن وهبه كل شيء بغنًى للتنعُّم؛ إذ كان قد «اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لنكون قدِّيسين وبلا لوم قُدَّامه في المحبة، إذ سبق فعيَّننا للتبنِّي بيسوع المسيح لنفسه، حسب مسرَّة مشيئته، لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب... لتدبير ملء الأزمنة، ليجمع كل شيء في المسيح، ما في السموات وما على الأرض، في ذاك» (أف ١: ٤-٦، ١٠).

فلما رأى الله أنه قد جاء ملء الزمان لتحقيق ما دبَّره لخلاص البشرية وفدائها، وتكميل ما سبق أن وَعَدَ به، بل وما أضمره في نفسه منذ الأزل، قبل تأسيس العالم، وقبل أن يخلق الإنسان، إذ كان عالمًا بكل ما سيُحيق بالإنسان بحسد إبليس، وكيف سيفقد ما ناله من نِعَمٍ أغدقها عليه بغنًى، وذلك بسبب تعدِّيه على وصية الله بغواية الحيَّة؛ فكان لابد أن تكمل الأزمنة المُعيَّنة من الله لمجيء ابن الله في ملء الزمان، وتتميمه للفداء والخلاص الذي وعَدَ به البشرية.

فحسب رؤيا دانيال النبي التي أُعلنت له بعد صلوات وتضرُّعات وتذلُّل أمام الله، ظهر له جبرائيل الملاك وقال له: «في ابتداء تضرعاتك خرج الأمر، وأنا جئتُ لأُخبرك لأنك أنت محبوب. فتأمَّل الكلام وافهم الرؤيا: سبعون أسبوعًا قُضِيَت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة، لتكميل المعصية وتتميم الخطايا، ولكفَّارة الإثم، وليُؤتَى بالبر الأبدي، ولِخَتْم الرؤيا والنبوَّة، ولمسح قدوس القدُّوسين. فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعًا يعود ويُبنى سوقٌ وخليجٌ في ضيق الأزمنة. وبعد اثنين وستين أسبوعًا يُقطع المسيح وليس له شعبُ رئيسٍ آتٍ يُخْرِبُ المدينة والقُدس وانتهاؤه بغَمارةٍ (فيضان)، وإلى النهاية حَرْبٌ وخِرَبٌ قُضي بها. ويُثبِّتُ عهدًا مع كثيرين في أ سبوع واحد، وفي وسط الأسبوع يُبطِّلُ الذبيحةَ والتقدمةَ، وعلى جناح الأرجاس مُخَرِّبٌ، حتى يَتمَّ ويُصَبَّ المَقضِيُّ على المُخرَّب» (دا ٩: ٢٣-٢٧).

وهكذا يتضح من رؤيا دانيال النبي أنَّ تكميل الأزمنة لمجيء المسيح **"قدوس القدُّوسين"**، و**"المسيح الرئيس"** ؛ معلومةٌ لدى الله قبل تأسيس العالم، على أساس: «تكميل المعصية، وتتميم الخطايا، ولكفَّارة الإثم، وليؤتَى بالبر الأبدي، ولختم الرؤيا والنبوَّة، ولمسح قدوس القدُّوسين»، وكما أعلن الرب يسوع أيضًا في بداية خدمته قائلًا: «قد كَمُلَ الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» (مر ١: ١٥). فالرب منذ البداية قد جعل الأزمنة والأوقات في سلطانه (أع ١: ٧).

فحين اكتملت المعصية وامتلأ كأس خطايا الإنسان، وجاء وقت كفَّارة الإثم، لكي يؤتَى بالبِرِّ الأبدي الذي لله الكلمة، وانتهاء زمان الخطيئة والشقاء واللعنة؛ هكذا حلَّ زمان الافتقاد ومجيء أيام ابن الإنسان (لو ١٧: ٢٦) التي ليست من هذا الزمان. وجاءت أيام التجديد والفداء والخلاص والبر والمصالحة، «لتدبير ملء الأزمنة، ليجمع كل شيء في المسيح، ما في السموات وما على الأرض، في ذاك» (أف ١: ١٠). ولكي يجمع الرب خرافه من جميع الأُمم، «وتكون رعيةً واحدة، وراعٍ واحد» (يو ١٠: ١٦).

فهذه الأيام هي بمثابة انفتاح السماء على كل شعوب الأرض، كما قال المسيح لتلاميذه بعد قيامته وعند صعوده: «اذهبوا وتلْمِذوا جميع الأُمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلِّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر، آمين» (مت ٢٨: ١٨-٢٠). وذلك لكي يتمَّ ما جاء في سفر المزامير قائلًا: «لكي يُعرف في الأرض طريقك، وفي كل الأُمم خلاصك» (مز ٦٦: ٢). وكما جاء أيضًا في سفر إشعياء النبي: «قد جعلتك نورًا للأُمم، لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض» (إش ٤٩: ٦). هذا هو ملء الزمان الذي أعلن عنه المسيح وهو على الصليب، حينما صرخ قائلًا: « **"قد أُكْمِلَ"**، ونكَّس رأسه وأَسْلَم الروح » (يو ١٩: ٣٠).

«أرسل الله ابنه»:

حينما حلَّ ملء الزمان هذا، لكي يُكمِّل الله خلاصه لجميع الشعوب؛ «أرسل الله ابنه». وتعني هذه الجملة القصيرة وتفيد إفادة ضمنية واضحة، أنَّ الابن كان موجودًا سابقًا على إرساله. فالقديس بولس يرى في ابن الله وجودًا في الله في صميم طبيعته وذاته، إذ قال في رسالته إلى العبرانيين:

† «الله، بعدما كلَّم الآباء بالأنبياء قديمًا، بأنواع وطُرُق كثيرة، كلَّمنا في هذه الأيام الأخيرة (في ملء الزمان) في ابنه، الذي جعله وارثًا لكل شيء، الذي به أيضًا عَمِلَ العالمين، الذي، وهو بهاء مجده، ورَسْم جوهره، وحاملُ كل الأشياء بكلمة قُدرته، بعدما صنع بنفسه تطهيرًا لخطايانا، جلس في يمين العظمة في الأعالي، صائرًا أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسمًا أفضل منهم» (عب ١: ١-٤).

كما قال عن الابن أيضًا في رسالته إلى أهل كولوسي:

† «الذي هو صورة الله غير المنظور، بِكْرُ كل خليقة. فإنه فيه خُلِقَ الكلُّ: ما في السموات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى، سواءٌ كان عروشًا أم سيادات أم رياسات أم سلاطين، الكلُّ به وله قد خُلِقَ. الذي هو قبل كل شيء، وفيه يقوم الكلُّ» (كو ١: ١٥-١٧).

كما قال عنه أيضًا القديس يوحنا الإنجيلي في بداية إنجيله:

† «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان في البدء عند الله... والكلمة صار جسدًا وحلَّ بيننا، ورأينا مجده مجدًا كما لوحيدٍ من الآب» (يو ١: ١، ٢، ١٤). وأيضًا قوله: «قال لهم يسوع: الحقَّ الحقَّ أقول لكم: قبل أن يكون إبراهيم أنا كائنٌ» (يو ٨: ٥٨)، وأيضًا قوله: «لأنه لم يُرسِل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلُص به العالم» (يو ٣: ١٧).

وفي هذا يقول القديس إيرينيئوس:

[لأجل ذلك فإنَّ غَيْرَ المُحْوَى وغيرَ المُدرَك وغيرَ المرئي، جعل نفسه مرئيًا ومُدرَكًا وقابلًا للاحتواء من الذين يؤمنون به، لكي يُحيي الذين يحتوونه وينظرونه بالإيمان. وكما أنَّ عظمته تفوق الحدود، هكذا صلاحه أيضًا لا يُنطَق به، وبسبب هذا الصلاح الفائق جعل نفسه منظورًا، لكي يبث الحياة في الذين يرَوْنه؛ ذلك لأنه يستحيل أن يحيا أحد بدون الحياة، وجوهر الحياة كائنٌ في الشركة مع الله، والشركة مع الله هي في رؤيا الله وتذوُّق صلاحه. إذًا، فالناس (من بعد التجسُّد) يرَوْن الله، لكي يَحْيَوا ويصيروا بهذه الرؤيا غير مائتين ومتَّصلين بالله!]

«أرسل ابنه مولودًا من امرأة»:

قبل أن يُولَد المسيح بقرون كثيرة تنبَّأ إشعياء النبي قائلًا: «ولكن يُعطيكم السيِّدُ نفسُه آيةً: ها العذراء تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمه عمانوئيل» (إش ٧: ١٤). ويعود ويقول أيضًا: «الرب من البطن دعاني، من أحشاء أُمِّي ذَكَرَ اسمي» (إش ٤٩: ١)، ثم يُضيف قائلًا في نفس الأصحاح: «والآن قال الرب جابلي عبدًا له لإرجاع يعقوب إليه، فينضمُّ إليه إسرائيل، فأتمجَّد في عينَي الرب، وإلهي يصير قوَّتي. فقال: قليل أن تكون لي عبدًا، لإقامة أسباط يعقوب, وردِّ محفوظي إسرائيل، فقد جعلتك نورًا للأُمم لتكون لخلاصي إلى أقصى الأرض» (إش ٤٩: ٥، ٦).

السلام عليك يا ممتلئة نعمةً

وهذا هو ما أشار إليه بولس الرسول في وصفه لتجسُّد ابن الله وأَخْذه صورة عبد، وذلك في قوله:

† «الذي إذ كان في صورة الله، لم يَحْسِب خُلْسَةً أن يكون مُعادِلًا لله. لكنه أخلى نفسه، آخِذًا صورة عبد، صائرًا في شِبْه الناس. وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب» (في ٢: ٦-٨).

وقد تنبَّأ إرميا النبي أيضًا عن تدخُّل الله في ميلاد مختاريه من امرأة قائلًا: «قبلما صوَّرتك في البطن عرفتك، وقبلما خرجتَ من الرَّحِم قدَّستك» (إر ١: ٥).

إلَّا أنَّ ميلاد الرب يسوع من العذراء مريم قد فاق في تحقيقه لهذه النبوَّات كل تصوُّر، فانظر ما قاله الملاك جبرائيل للعذراء مريم:

† «... أُرسِل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة، إلى عذراء مخطوبة لرجلٍ من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم. فدخل إليها الملاك وقال: "سلامٌ لكِ أيتها المُنعَم عليها (الممتلئة نعمة)، الربُّ معكِ. مُباركةٌ أنتِ في النساء". فلما رأتْهُ اضطربتْ من كلامه، وفكَّرت ما عسى أن تكون هذه التحية! فقال لها الملاك: "لا تخافي يا مريم، لأنك قد وجدتِ نعمةً عند الله. وها أنتِ ستحبلين وتلدين ابنًا وتُسمِّينه يسوع. هذا يكون عظيمًا، وابن العَليِّ يُدعَى، ويُعطيه الربُّ الإلهُ كُرسي داود أبيه، ويَملِكُ على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لمُلكه انقضاء".

فقالت مريم للملاك: "كيف يكون هذا وأنا لستُ أعرف رجلاً؟". فأجاب الملاك وقال لها: "الروح القدس يَحِلُّ عليكِ، وقوة العَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فلذلك أيضًا القدوس المولود منكِ يُدعَى ابن الله. وهوذا أليصابات نسيبتُكِ هي أيضًا حُبْلَى بابنٍ في شيخوختها، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوَّة عاقرًا، لأنه ليس شيءٌ غير مُمكن لدى الله". فقالت مريم: "هوذا أنا أَمَةُ الربِّ. ليكُن لي كقولك"» (لو ١: ٢٦-٣٨).

لاحِظ، أيها القارئ العزيز، كيف كانت تحية الملاك للعذراء: فقد كانت تحيةً خاصة جدًا، وشديدة التكريم للغاية.

ويُقارن بعض المُفسِّرين هذه التحية بما جاء في نبوَّة صفنيا النبي الذي خاطَب ابنة صهيون – وهو اللقب الذي تُلَقَّبُ به الكنيسة العذراء مريم في تسابيحها – قائلًا: «ترنَّمي يا ابنة صهيون... افرحي وابتهجي بكل قلبك يا ابنة أورشليم» (صف ٣: ١٤). فقد ابتدرها الملاك بقوله: «سلامٌ لكِ (الفرح لك) أيتها المُنعَم عليها ("الممتلئة نعمة". وباليونانية χαῖρε, κεχαριτωμένη)»

[هذا التعبير باليونانية يمكن ترجمته: "افرحي أيتها الممتلئة نعمة"، فهو يُمثِّل تحية خاصة تُشير إلى دعوة مريم أن تفرح فرحًا من كل القلب لكَوْن الله قد خصَّها بنعمة فريدة. وبالأخص أنه أضاف قائلًا: «الربُّ معكِ، مباركة أنتِ في النساء»، لأنها ستصبح أُمًّا للمسيح، أي ابنة صهيون، رمز شعب الله المنتظِر خلاص إسرائيل.

والواقع أنَّ هذا اللقب الذي أُعطِيَ للعذراء هو فريد من نوعه، ولا نجد له مثيلًا في العهد الجديد إلَّا مرة واحدة (أف ١: ٦): «حسب مسرة مشيئته، لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب». والتعبير في الحقيقة خارج عن المألوف، وهو يدلُّ على وفرة النِّعَم (مثل قوله في إنجيل يوحنا: «ومِن ملئه نحن جميعًا أخذنا، ونعمة فوق نعمة» – يو ١: ١٦).

فالمسيح هو المحبوب الذي من ملئه نحن جميعًا أخذنا، وهو الينبوع الكامل والأول لملء النعمة وحُب الله الآب الكامل، يستطيع بدوره أن يُنعِم على الذين يحبهم ويحيا فيهم ويَحْيَوْن فيه.

وعندما لُقِّبَت القديسة مريم بهذا اللقب، دخلت في الوقت ذاته في علاقة مُشاركة خاصة بملء النعمة الموجودة في الرب المحبوب، متَّحدة هكذا مع جميع المسيحيين الذين يجدون في المسيح ملء النعمة هذه. ومع ذلك فقد قَبِلَته العذراء كلقب، أي أنها أصبحت العلامة الحيَّة والأكيدة لملء هذه النعمة التي لا يوجد ينبوعها إلَّا في المسيح].

لم تكن التحية طبيعية، لذلك اضطربت مريم العذراء من كلام الملاك، ولكنها لم تضطرب من رؤيته، فلعلَّها كانت معتادة على ظهوره لها.

أما اضطراب مريم من التحية، فهو لكونها كانت تحسُّ في ذاتها أنها لا شيء. ولكن الملاك طمأنها بقوله: «لا تخافي يا مريم، لأنكِ قد وجدتِ نعمةً عند الله. وها أنتِ ستحبلين وتلدين ابنًا وتُسمِّينه يسوع. هذا يكون عظيمًا، وابن العَلِيِّ يُدعَى، ويُعطيه الربُّ الإلهُ كُرسي داود أبيه، ويَملِكُ على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لمُلكه انقضاء».

وهنا بادرت العذراء مريم الملاك بسؤال يكشف عن نيَّتها السابقة في نذر بتوليتها. فهي رغم أنها مخطوبة لرجلٍ، إلاَّ أنها قد أضمرت في نفسها أن تُعطي نفسها بالتمام لله، لذلك قالت للملاك: «كيف يكون هذا وأنا لستُ أعرف رجلًا ؟». فأجاب الملاك مُبدِّدًا حيرتها: «الروح القدس يحلُّ عليكِ، وقوة العَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فلذلك أيضًا القدوس المولود منكِ يُدعَى ابن الله».

فبما أنَّ ابنها هو "ابن الله" ومولود من امرأة، ولكن بدون رجل، فأبوه هو الله كما هو قبل ميلاده من العذراء. وما إن سمعت العذراء توضيح الملاك الذي بدَّد حيرتها، خاصة بعد أن أعطاها مثالًا لقدرة الله الذي أعطى أليصابات نسيبتها ابنًا في شيخوختها، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوَّة عاقرًا، لأنه ليس شيءٌ غير مُمكن لدى الله؛ رضخت العذراء لإرادة الله وسلَّمت لمشيئته، وأجابت الملاك قائلة: «هوذا أنا أَمَةُ الرب، ليكن لي كقولك».

عاشت مريم، ابنة صهيون، الممتلئة نعمة، العذراء الفقيرة، مسكن الله؛ اختيارها الفريد في كامل تواضُع أَمَةِ الرب. فإذا كانت سائر الألقاب تُميِّز اختيارها الأزلي ودعوتها ورسالتها في مُخطَّط الله، فإنَّ لقب "**أَمَة**" (**عبدة**) يدلُّ على بَشَرِيَّتها وطبيعتها وطاعتها.

فالله وحده هو الذي تُمجِّده في ضعف بشريَّتها، داعية نفسها أَمَته المتواضعة. وقد كرَّرت في تسبحتها دعوة نفسها بهذه الصفة: «لأنه نظر إلى اتضاع أَمَته» (لو ١: ٤٨).

هِيَ الأَخْلاقُ تَنْبُتُ كَالنَّبَات إِذَا سُقِيَتْ بِمَاءِ المَكْرُمَاتِ

فَكَيْفَ تَظُنُّ بِالأَبْنَاءِ خَيْرًا إِذَا نَشَأُوا بِحِضْنِ السَّافِلاتِ

صوم الميلاد

يبدأ صوم الميلاد المقدّس في ١٥ش / ٢٨ غ من شهر تشرين ثانٍ من كلّ عام. والمواسم الكنسية من أعياد وأصوام تستدعي من النفس أن تتفاعل وتتواجد، مع قلب أحداث الخلاص الذي أتى المسيح من أجله، فقد كانت بشارة الملاك عن المسيح ليوسف خطيب مريم أنه «يُخلِّص شعبه من خطاياهم» (مت ١: ٢١).

ففي الصوم يتضع الجسد، فتصفو النفس، ويستنير العقل، ما يجعلنا نتأمَّل في خلاص المسيح الذي أتى لكي يُنعِم به علينا، فيُستعلَن لنا باعتباره حاضرًا معنا قائمًا فينا بالفعل، ونحسُّ به ليس بالتخيُّل ولا بالحلم، بل باعتبارنا نُتمِّمه كل يوم حسب الوصية: «تمِّموا خلاصكم بخوف ورعدة» (في ٢: ١٣)، باعتبار خلاصنا يُستعلَن لنا كل يوم جديدًا، وذلك بالممارسات الكنسية بما توفِّره لنا الكنيسة من أصوام وأعياد وقراءات وألحان، ما يبلغ غايتها في أسرار الكنيسة، وأولها سرُّ الإفخارستيا الذي يُقدَّم على المذبح كل أسبوع أو في كل قدَّاس نحضره في أيام الصوم، ما يجعل خلاص المسيح يدخل إلى حياتنا ويصير فينا حيًّا باستمرار.

نحن نعيش العيد الدائم:

ويُعبِّر عن هذه الحقيقة اليومية الحاضرة التي نعيشها بما يقوله الآباء: "نحن نعيش الآن العيد الدائم، الدهر الجديد، الدهر الآتي كامنًا في بطن هذا الدهر الذي نعيشه الآن، ومتخفِّيًا به فيه، مُحتَفَلًا به في سرِّ الإفخارستيا".

† ذلك لأن الصوم في الكنيسة الأرثوذكسية يُعتَبَر دائمًا التمهيد الطقسي النُسكي لكل عيد نحتفل به. فصوم الميلاد، والصوم الأربعيني المقدَّس، وصوم الآباء الرسل الأطهار، وصوم القديسة العذراء مريم؛ كل هذه الأصوام تُقدِّمنا إلى أن ندخل العيد، بعد انتهاء الصوم، بتجديد الحياة وبتقدُّمنا في إدراك أسرار خلاص المسيح من خلال هذا العيد أو ذاك.

صوم الميلاد المقدّس:

فإذا جئنا إلى صوم الميلاد المقدَّس، "إذًا، فلا مناص من الصوم، إنْ كنَّا نريد أن نَستَعلِن روحانيًّا سرَّ الخلاص القائم والمُعلَن في تجسُّد ابن الله، أي في ميلاد المسيح".

لماذا حدَّدت الكنيسة صوم الميلاد، قبل احتفالنا بعيد الميلاد؟

"حدّدت الكنيسة صوم الميلاد لتُهيِّئ لكل فرد المستوى الروحي الذي يستطيع من خلاله قبول سرّ الخلاص القائم، والمُعلَن في سرِّ التجسُّد الإلهي، أي في ميلاد المسيح".

حدّدت الكنيسة أنه: "يستحيل على الإنسان الطبيعي المنغمس في الأكل والشُّرب والملاهي أن يقبل هذا السرَّ الفائق للطبيعة، وغير المعقول حتى لدى الحكماء جدًا".

† "لذلك، إذا لم يرتفع الإنسان إلى ما فوق الطبيعة بكل كيانه الجسدي والنفسي – بالصوم – حتى يتهيَّأ العقل للتفكير، مجرد التفكير في إمكانية التجسُّد وضرورته؛ فلن يستطيع أن يُدرك هذا السرّ، كما يقول القديس بولس الرسول: «ولكن الإنسان الطبيعي (أي الجسدي) لا يقبل ما لروح الله، لأنه عنده جهالة» (١كو ٢: ١٤)".

† فإذا استطاع الإنسان – بالصوم – أن يرتفع إلى هذا المستوى الروحانيّ كجسدٍ مُتَجَلٍّ، فإنه يواجه عيد الميلاد فعلًا كعيد حقيقي، فيصير له بحقٍّ فرحًا وبهجةً، ولكن فرحًا وبهجةً ذات نعمة روحية تغمره، فيحسُّ أنه أمام مذود بيت لحم، حيث الرب يسوع مُضجعًا، بل تكسوه فرحة تفوق فرحة رعاة بيت لحم ومجوس المشرق من البلاد البعيدة، فرحة ليست من هذا الدهر ولا من أفراح هذا العالم الخادعة، فرحة لا يحسُّها إلاَّ هو فقط.

وكل مَن اختبر الصوم المقدَّس، واختبر حياة التعفُّف عن الطعام، حتى إذا أفطر فإنه يتناول إفطاره في خشوع وتعفُّف وتأفُّف عن أطايب أطعمة العالم، وملذَّات مشروبه؛ وذلك من فرط فرحه واعتزازه بما يحسُّ به في قلبه ووجدانه، من أفراح وأمجاد سرِّ تخلِّي الله عن مجده السماوي ليتجسَّد مولودًا في مذود طعام الحيوانات. تمامًا مثلما كُتب عن القديسة العذراء مريم، أنها كانت تحفظ كل ما كانت تراه وتسمعه من كلمات المجد لهذا المولود التي يفوه بها كل مَن رأى المولود الإلهي، حيث كانت مندهشة (من موهبة "الدَّهش المقدس") من كلمات فائقة عالية على اتضاعها وإحساسها بضعفها.

لذلك يقول الإنجيل: «وأمَّا مريم فكانت تحفظ جميع هذا الكلام مُتفكِّرة به في قلبها» (لو ٢: ١٩)، سواء ما سمعته من الرعاة أو المجوس أو سمعان الشيخ أو حَنَّة النبيَّة، أو حتى من فم يسوع الفتى وهو في الهيكل حينما قال لها وليوسف ردًّا على تعجُّبهما من جلوسه في الهيكل: «لماذا كنتما تطلباني (تبحثان عني)، ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في بيت أبي؟ فلم يفهما الكلام الذي قاله لهما» (لو ٢: ٤٩، ٥٠ – ترجمة دقيقة)، أي: لماذا تبحثان عن ابنٍ كأنه تائه عن بيته، بينما هو جالسٌ في بيت أبيه؟!

† وباختصار، ففي الصوم النُّسْكِيّ يمكن للإنسان أن يسمع ويحسَّ ويفهم في قلبه أسرار تجسُّد ابن الله الكلمة، ما يجعله يَدْهش ويتعجَّب، وربما أحيانًا لا يفهم كل ما تُردِّده له أحاسيسه الروحانية في باطنه، ولكن يُساهم كل هذا معًا في نموِّه في النعمة وفي معرفة ربنا يسوع المسيح، وفي إدراكه لعظمة وجلال النزول الإلهي إلى عالمنا، بل إلى ما داخل قلبه هو ليَزيده نورًا لمعرفة خلاصه الأبدي.

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

كنيسة القديس نكتاريوس
في جزيرة إيجينا في اليونان

الفصل الثاني

«وفرغت الخمر فقالت أم يسوع له: ليس عندهم خمر. فقال لها يسوع ما لي ولَكِ يا آمرأة، لم تأتِ ساعتي بعد. فقالت أمه للخدام مهما يأمركم به فافعلوه» (يو٢:٣-٥).

«من لي بمثل الشهور السالفة ومثل الأيام التي كان الله فيها حافظي» (أيوب ٢٩ :٢).

في هذا الوقت بالذّات، تَوَقَّفَتْ في الحيّ اليهودي في القاهرة عربةٌ يقودها أربعة رجال من سكان البلد الأصليين، أمام **كنيسة القديس نيقولاوس الأرثوذكسيّة**، بالقرب من مباني البطريركية. وفتح الرجال العربة لينزل منها كاهن أرثوذكسي شاب، أسود الشعر، ذو لحية وعينين واسعتين مُعَبِّرَتيْن، وابتسامة خجولة ووجهٍ لطيف وهادىء. ولما وطئت قدماه الأرض، بارَكَ الرجال الأربعة وأخرَجَ من يده الأخرى بضعَ قطع من النقود، فأعطاهم إياها، ثم نزل بعده صاحب العربة. وكان رَجُلًا مُسنًا قويّ الجسم، يضع قبعة ويلبس الأبيض، وكان يحمل بين يديه علبة مغلّفة بورق ازرق ومحاطة بشريطٍ ابيض.

– هذا لك يا صاحب السيادة، قال هذا وانحنى أمامه.

– ما هذا ايضًا ؟

– انه بَلَحٌ ... من البصرة. لذيذ الطعم، لم تَذُق مثله في حياتك. إنها هدية متواضعة جدًّا.

– أرجوك، لا استطيع أن اقبَل هذا، فقد اهتَمَمتَ بي كفاية حتى الآن. لا ، لا يمكن

– ألا يمكن ان تقبل هذا الشيء البسيط ؟

– إنَّ كاهنًا ارثوذكسيًا على شيءٍ من الجِدِّ لا يسمح لنفسه بقبول الأطعمة النادرة. لو لم أكُن أتحسس بالعمق آلام هذا الشعب، وظمأه الروحاني غير المرتوي، لكنتُ آخترتُ الحياة النُسكيّة التي تجتذبني كثيرًا. لكني أتيتُ من هذا الشعب الذي ينوء بحملِهِ في صراعه اليوميّ لكسب الخبز. ومن واجبي أن أخدم هذا القطيع الكبير في إطار أمّنا الكنيسة المقدسة ... أرجوك ألّا تصرّ كثيرًا .

– أنتَ تؤلمني برفضك يا صاحب السيادة. أرجوك أن تقبل هدية عائلتي هذه والتي لا تليق بمقامك. واصنع بها بعد ذلك ما تريد. فكما قلتُ لكَ أثناء الطريق، إن افراد هذا الشعب كلّهم صغارًا وكبارًا يحبونك كثيرًا، ويكنّون لك الإعجاب. لقد مَرَّت قرون طويلة على هذه الأرض الأفريقية دون أن تحظَى خلالها بكاهنٍ مثلك يتّصف بالنزاهة ومحبة الفقراء. وها إنَّ **صفرونيوس** قد طَعُنَ بالسِّن، وكل اليونانيين هنا يرغبون برفعك إلى هذا الكرسي العريق في القِدَم. وكما تعرف، فإنَّ المشكلات هنا تراكمت لدرجة ...

– لا أعرف إن كنتُ الشخص المناسب لهذا المنصب، الله وحده يعلم ذلك !

– تمامًا. انه هو الذي قادَك إلينا، وهو الذي سيرفعك إلى هذا الكرسي.

– حسَنًا، لا أريد أن آخذ الكثير من وقتك. أشكرك من كل قلبي، صَلِّ لأجلي أنا الحقير، واذهب بسلام.

فانحنَى الرَجُل المُسنّ، وَقَبَّلَ يد المطران، ثمّ عاد وركب عربته التي لَحِقَ بها جميع الأولاد المحليين الحُفاة، وهم يركضون ويصرخون.

وانزوى المطران نكتاريوس في غرفته الشبيهة بسائر الغُرَف قرب

الكنيسة البطريركية، وحيدًا بين أيقوناته ومجموعة كُتبه ومؤلفاته ... وفجأة سَمِعَ طرقات على الباب، فدعا الطارق للدخول. وإذ بعجوز قصير القامة، منحني الكتفين، مُشِّع العينين يدخل ويصنع له مطانية.

اهلًا وسهلًا يا **چالينوس**، قال المطران . ونَهض مُسرعًا لتقبيله. وسأله.

– كيف حال أهل **جزيرتي خيوس**؟ وكيف حال سكان **قريتي ليتي**؟ هل هم بصحة جيّدة؟

إنهم بصحةجيدة يا صاحب السيادة. كيف وجدتُهم؟ أنتَ تعرفهم جيدًا منذ أن كنتَ مدرّسًا هناك. فمنهم من يقضون أيامهم برغد، ولكن الأكثرين يعملون بجهدٍ وتَعبٍ كبيرين، دون أن يستطيعوا اسكات جوعهم. إنهم يعملون كالعبيد، تنهكهم الأنواء والصخور والديون ... آه طبعًا لقد وَزَّعتُ المال الذي ارسلته لي على العائلات التي عَيَّنتَها ... إنهم يعيشون في فَقرٍ مُدقِع يا سيّدي. منذ مدّة وأنا أعمل في خدمتك، لكني اليوم أقول لك إنّي مستاء لرؤية هذا البؤس في الوطن. لقد استأتُ من الكلّيّ القدرة، وتساءلت لماذا يسمح لبعض المحظوظين بأن ...

– آه يا **چالينوس**، إنّ التناقضات موجودة أينما كان. انت هنا تعرف مَسلكي، وتعيش معي كل يوم، وتحدني أرتقي؛ إنّي أرتقي يا چالينوس – ودون رغبةً مني – نحو المسؤوليات العليا. لكن احفظ هذا جيّدًا في قلبك: إني ازداد اقتناعًا كل ساعة، وكل يوم بأنه لا يحقّ لنا وليس من العدل ابدًا، أن نحكُم على الله من وراء هذا العالم المحيط بنا. هل تتذكّر **الرسام آرمنوبولوس** الذي كان يرسم جدرانيات كنيسة الإنجليين؟ كنتَ تجد رسمه شديد القُبح، وكنت تقول إن عمله سيكون مشوّشًا. أما الآن فانك لا تتوقف عن تأمّل رسوماته. فعندما نثق بالفنان، علينا ألّا نَحكُم على عمله قبل أن يكتمل نهائيًا. علينا أن نأمل وننتظر نهاية العمل بكل ثقة.

انتَ تجيد الكلام غير أنّي عجوز. وإذا ما اختصرت خبرتي في هذا العالم وجدتُ أنها عبارة عن هموم ومرارة وزفرات ... زوجتي شريكة حياتي، ماتت. وولداي مبعثران: الواحد هنا والآخر في روسيا. ولو لم تكن أنتَ هنا لتَقبلَني في خدمتك، فما كان سيحلّ بي؟ كنتُ متُّ هنا في أفريقيا وأنا أستعطي.

– انتبه يا **چالينوس**، هنا بالضبط يكمن السرّ. استمع إليَّ جيّدًا: لأني أجد هذه الحياة غير مُرْضِيَة ولا خالية من العيوب، فأنا أؤمن تمامًا بأنّها ليست سوى محطّة مؤقّتة. وكالقطار الذي يستريح قبل متابعة رحلته نحو أماكن أبعد وأجمل؛ هكذا هو الموت. إنّه قطار يحملنا حيثُ كلّ شيء أفضَل من هنا بالتأكيد. إني أقول لك كلّ هذا لأنّك للأسف لا تقرأ حتى الكتاب المقدّس. لو كنت تقرأه ...

– حسنًا، أنا ذاهبٌ لأنّي أتعبتك. فأنا أستغلّ طِيبتك أكثر من اللازم. أنت مطران، وتخصّص لي كُلّ الوقت؟ ... سنعاود التكلّم في هذا الموضوع لاحقًا. لقد سمعتُ أنَّ بعض الكهنة من رتبة أرشمندريت يحاولون القيام بخطوةٍ ما...إنّهم لا يَكِنّون لك الحبّ يا صاحب السيادة.

– لا بأس، فأنا أحبّهم، وهذا يكفي لأكون في سلام.

متى عُدْتَ من الوطن؟ وهل كان البحر بحالة جيّدة؟

لقد عُدْتُ من يومين، وكان البحر هادئًا كالزيت. وقد أعطوني في القرية طَرَدًا لأسلّمه لك. سأحمله إليك هذا المساء بعد صلاة الغروب. بارك يا سيّد.

– إذهب بسلام.

وأُفْلِتَت من بين شَفَتي **نكتاريوس** زفرةٌ صغيرةٌ! منذ ساعات وهو يتوق للوحدة هنا، بين أيقوناته، ومع كتبه ومؤلفاته. أخيرًا !

آه للاهوت الذي هو عِلْم كلّ العلوم، اللاهوت الأرثوذكسي، كم هو مجهول عند الكثيرين ... بعد لحظات سيدعونه للطعام. لكنه اليوم لا يحس بالجوع. سيقول لهم إنّه يشعر ببعض التوعّك.

لِمَ تَراهُ يحبّ الوحدة إلى هذه الدَرجة؟ في السنة الماضية الْتَقَى في الإسكندرية بدويًّا عجوزًا في صحراء سيناء، فقال له إنّ الحيوانات وحدها والقديسين وحدهم يستطيعون العيش في وِحدَةٍ كاملة ... فَلْيَحْمِهِ الله.

أما هو فما كان يعتبر أنه قد «خَلُصَ» بعدُ. كان إنسانًا خاطئًا كبيرًا. وكانت روحه تعيش في القلق كُل لحظة. كان يرتجف ويعيش في الخوف المستمر. مِن حوله كُل هذا الإكرام، وكل هذه الهدايا، وكل هذا الاحترام! بينما المجتمع حوله طبقات، ينوء تحت نير الظُلم.

منذ أن سِيمَ مطرانًا عُيِّنَ مُمَثِّلًا للبطريرك في هذه المدينة الكبيرة، وصار ساعده الأيمن. فماذا حقّق حتى الآن؟ نعم إنّه يتصَدّق، ويقتسم خبزه مع الفقراء، وما أهمية هذا؟ فحتى المسلمون يفعلون ذلك. انه يسهر على تطبيق العدالة كاملةً؟ ولكن حتى الرومان كانوا يفعلون ذلك، ومثلهم عددٌ كبيرٌ من اليونانيين القدماء الذين كانوا وثنيين. كان يحرص على تزيين الكنيسة برسومات مقدّسة من قِبَل فنّانين حقيقيين؟ لكن هذا واجبه ككاهن، أن يهتم بذلك، ويسهر على تزيين بيت الرب. إذن؟ إذن لا شيء. إنّه مُقَصِّر في كُل ما يفعل. لقد سِيمَ مطرانًا في كنيسة تزخر بتاريخ عظيم، وفي بطريركيّة أرثوذكسيّة ذات شهرةٍ عظيمة، فَمَن ذا الّذي لا يذكر مدرسة الإسكندرية المشهورة، تلك النَّحْلةُ التي كانت تصنع الثقافة؟

آه على الأرثوذكسيّة، كنز الحقيقة.. إنّ قوات الظلام تُحاربها، لكنها ما زالت صامدة في نفس هذا الشعب الصغير، شعب من غير راعٍ، يحيا حياة العبيد، وَتهُبّ عليه الأنواء من كل جانب.

وامتلأت عينا **نكتاريوس** بالدموع، وارتجفت يداه. فاقترَبَ من المصلوب المعلّق على يمين مكتبه وقال:

سيّدي، لِمَ رَفعتني إلى مثل هذه الرتبة الكبيرة؟ لقد توسّلتُ إليك أن تجعل مني لاهوتيًا، لا مطرانًا مع كل هذه الأمجاد! منذ طفولتي تضرّعتُ إليك أن تجعلني مجرّد خادمٍ بسيط لكلمتك. وأنتَ الآن تمجّدني بأشياء وقتيّة وزائلة من هذا العالم. أَنْعِم فِيَّ التواضع بجميع الوسائل التي تعرفها أنت، واجعلني أهلًا لأعيش قول رسولنا العظيم بولس: «لستُ أنا أحيا، بل المسيح يحيا فِيَّ». **(يتبع)**

القديس نيقولاوس العجائبي (٦ك١)

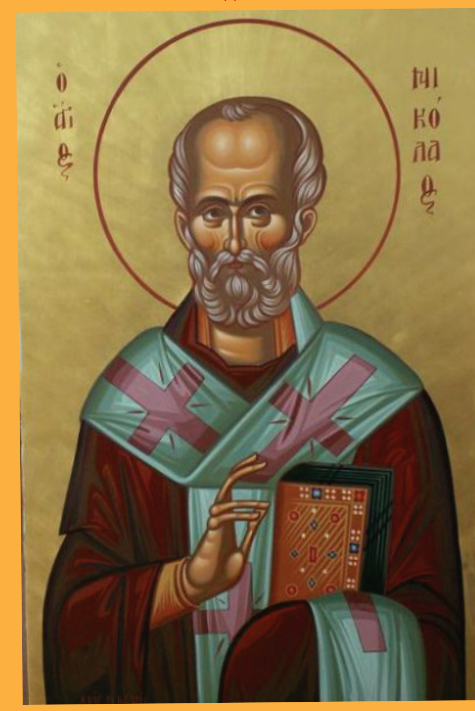

التطويبات
للقديس يوحنا الذهبيّ الفم

«وقف يسوع في موضعٍ سهلٍ، هو وجمعٌ من تلاميذه وجمهورٌ كثير من الشّعب من كلّ اليهودية، وأورشليم وساحل صور وصيدا، ممن جاءوا ليسمعوه ويُبرأوا من أمراضهم. ومن المعذّبين من الأرواح النّجسة وكانوا يُشفَوْن. وكان كلّ الجمع يطلبون أن يلمسوه لأنّ قوّة كانت تخرج منه وتُبرىء الجميع» (لوقا٦: ١٧-١٩)

كان مزمعًا أن يعرض عليهم طريقة حياة سامية وأن يقول لهم ما لم يسمعوه بعد. يبدأ مُسبقًا بتثبيت أقواله عن طريق العجائب. الملكوت الذي كان يكرز به غيرُ منظور لذا جعله منظورًا عن طريق العجائب.

لم يَرَوِ الإنجيليُّ العجائب بالتفصيل بل ٱختصَر كلامه ذاكرًا إيّاها بالجملة. لماذا لم يطلب إيمانًا من كلّ واحد كما يفعل لاحقًا؟ «أتؤمنوا إنّي قادرٌ أن أشفيكما»؟ **(للأعمَيَيْن متى ٩: ٢٨)** لم يفعل ذلك لأنّهم كانوا يأتون بمرضاهم من بعيد بدافع إيمانهم.

فلنتبعه نحن أيضًا الذين يعانون من أمراض النّفس المختلفة طالبين شفاء النّفس وغفران خطاياهم. لقد ذاعَ سيطه في سوريا كلّها واليوم لماذا لا تسرع وتطلب منه المعونة والشّفاء؟ أولئك تركوا بيوتهم وأوطانهم وأنت لا تترك بيتك لتأتي إلى الكنيسة وتشفى! حتّى ولو بقيت في بيتك لا تترك عاداتك السّيئة. إن اعترانا مرضٌ جسدي نعمل المستحيل لكي نتخلّص منه، أمّا مرض النّفس فلا نكترث به، **نبحث عن الطّهارة الخارجيّة لا عن التحرّر من الشرور.**

«ورفع عينه إلى تلاميذه وقال طوبى لكم أيّها المساكين فإنّ لكم ملكوت اللّه» (لوقا ٦: ٢٠).

يقول متّى إنّ الرّبّ يسوع ترك الجموع وصَعِدَ إلى الجبل **(متى ٥: ١)** هذا لكي يعلّمنا ألّا نعمل من أجل حُبّ الظهور خصوصًا في المواضيع الجادّة، والقرارات الهامّة السّامية.

الكلام موجّه إلى التلاميذ التّابعين إيّاه عن كَثَب. العجائب رآها الجميع، أمّا الكلام السّامي فكان التلاميذ يشتهون سماعه. **لذا أعطاهم العظة على الجبل.** كان همّه ليس فقط شفاءَ الأجساد بل خصوصًا النّفوس. لقد بدأ بنفسه إذ تصرّف كما يليق أمامهم. اعتنى بالأجساد وبالنّفوس، سادًّا أفواه الهراطقة، مبرهنًا على أنّه خالق الطّبيعة الماديّة والرّوحيّة للإنسان. كان يعتني تارَةً بالواحدة وطورًا بالأخرى.

يقول الإنجيليّ متّى **«فلمّا جلس تقدّم إليه تلاميذه ففتح فاه وعلّمهم» (متى ٥: ١)**. كان يتوجّه إلى الجموع من خلال التلاميذ الذين كان باستطاعتهم فهمُ الأمور السماويّة. هذا ما أشار إليه **لوقا** نفسه بقوله:

«لكني أقول لكم أيّها السامعون أحبّوا أعداءَكم» (لوقا ٦: ٢٧ ...) يتوجّه بالكلام عامّة إلى كلّ المساكين.

«طوبَى للمساكين فإنّ لكم ملكوت الله » يتكلّم مع التلاميذ ويتوجّه إلى الجميع ، إلى كلّ المسكونة.

ماذا يعني بالمساكين؟ عند متّى يقول: **«المساكين بالرّوح» (متّى ٥: ٣)**: هم الذين يتميّزون بالتواضع وبطاعتهم لله. **«بالرّوح»** أي **بإرادتهم**، علمًا بأنّ هناك فقراء رغمًا عنهم لا بإرادتهم. ولماذا قال المساكين ولم يَقُل المتواضعين؟ الكلمتان مترادفتان لكنّ كلمة **«مساكين»** هي أقوى. يقصد بها خائفي الله وتابعي وصاياه بإرادتهم، المؤمنين والحسني العبادة. الذين قال عنهم أشعيا: «إلى مَن أنظُر سوى إلى المسكين والمنسحق القلب والمرتعد من كلامي» (أش ٦٦: ٢).

«الذبيحة لله روحٌ منسحق القلب الخاشع المتواضع لا يرذله الرّبّ» (مز ٥٠: ١٩).

«ولكن ٱقبلنا لانسحاق نفوسنا وتواضع أرواحنا» (دا ٣: ٣٩).

هذا هو التواضع الذي يُطَوّبه المسيح هنا في الآية (٦: ٢٠) يبدأ المسيح عظته بهذه الفضيلة مُعتبِرًا إيّاها أساسًا لكلّ تعليمه السّماويّ. هذا ما يمقته الشيطان وما أراد بولس أن يوضحه بقوله: «ينبغي ألّا يكون حديثَ ٱلإيمان لئلّا تعميَه الكبرياء فتنزل به الدّينونة التي نزلت بإبليس» (١تيمو ٣: ٦).

كلّ فضيلة لا قيمة لها بدون التّواضع. كما أنّ الكبرياء هو مصدر كلّ إثم، كذلك التّواضع هو أساس التّقوَى. لذلك مرّة أخرى أقول : يبدأ الرّبّ عظته بهذه الفضيلة.

رُبَّ سائلٍ: لماذا يقول هذا للتلاميذ الصّيّادين البسطاء المساكين؟ يقول هذا لا للتلاميذ فحسب بل لكلّ السامعين ويقولها أيضًا للتلاميذ حتّى يتجنّبوا أيضًا

تجربة التّكبّر أمام مديح النّاس عند نجاح البِشارة. يتكلّم الرّبّ، على كلّ حال، بصورة عامّة متوجّهًا إلى كلّ النّاس.

«طوبَى لكم أيّها الجياع الآن فإنّكم ستُشبَعون. طوبَى لكم أيّها الباكون الآن فإنّكم ستضحكون» (لوقا ٦: ٢١).

بعد تطويب المساكين ينتقل إلى تطويب الجياع والحزانى والباكين. هذا التطويب يتناقض مع مفهوم النّاس الشّائع. لأنّ هؤلاء لا يطوّبون الجوع والفقر بل الغنى والرّاحة. لا يطوّبون الحزن والبكاء بل الفرح. يهرب النّاس عادَةً من العذابات والشّدائد والأحزان. في حين أنّ المسيح يمدح الجياع والحزانى والباكين!

هنا لا يُطَوِّب الرّبُّ بصورة عامة الفقراء والحزانى **بل أولئك الجياع والعطاش إلى البرّ (متى ٥: ٦) وكذلك الباكين على خطاياهم.**

يقاوم الطمع والشهوة ويمدح الجائع إلى القناعة وإلى كلّ فضيلة إلى البرّ، لا إلى الشّهوات العالميّة. (لا تحبّوا العالم ولا ما هو في العالم ... لأنّ كلّ ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العين وتعظّم المعيشة» (١يو٢: ١٦).

لا تخافوا من الجوع إن كنتم ترومون البِرَّ لأنّكم ستُشْبَعُون والشّبعُ الحقيقيّ هو العيش في الفضيلة. الجائع إلى الأمور الأرضيّة لا يرتوي، لكنّ التّائق إلى الأمور السّماويّة يشبع من نعمة الله.

كذلك الحُزن على أشياءَ ماديّةٍ أو عالميّة لا يستحقّ المديح لأنّ الرسول بولس يقول: «لأنّ الحزن الذي بحسب مشيئة الله يُنشىء توبة لخلاصٍ بلا ندامة وأمّا حزن العالم فيُنشىء موتًا» (٢كور ٧: ١٠).

يُطَوِّب الربّ مثل هؤلاء الحزانى ولم يَقُل الحزانى بل «الباكين» النائحين أي الحزينين جدًّا على خطاياهم. الباكي على خطاياه يُمدَح أكثر من الباكي على خسارة ماديّة. الباكي على فقدان الحبيب لا يعود يفكّر بالأمور الماديّة العالميّة، فكم بالأحرى الباكي على خطاياه فلا يعود يفكّر إلّا بخلاصه. هذا هو المُطَوَّب في الحقيقة. أُجرته تكون أنّه سوفَ يضحك ويتعزّى في هذا العالم وفي العالم الآخر.

كلّ مَن حَزِنَ وبَكى على خطاياه يُغفَر له، ولا يُعاقَب بل أكثر من ذلك وبسبب محبّة الله الفائقة يَلقَى راحةً وعزاءً كبيرين. يَطلب منّا الرّبّ أن نحزن لا على خطايانا فحسب، بل على خطايا الآخرين أيضًا.

عند متّى تأتي التّطويبات أوسع وأشمل. يتكلّم على الودعاء «طوبَى للودعاء لأنّهم يرثون الأرض» (متّى ٥: ٥)؛ على الرّحماء : «طوبى للرّحماء لأنّهم يُرحَمون» (متّى ٥: ٧)؛ على أنقياء القلوب: «طوبى لأنقياء القلوب لأنّهم يعاينون الله» (متّى ٥: ٨)؛ على صانعي السلام: «طوبَى لصانعي السلام لأنّهم أبناء الله يُدعَون» (متّى ٥: ٩).

«طوبَى لكم إذا أبغضكم النّاس وأفرزوكم وعيّروكم ونبذوا ٱسمَكُم نبذَ شرّيرٍ من أجل ٱبن ٱلبَشَر. افرحوا في ذلك اليوم وتهلّلوا فهوذا أجركم عظيمٌ في السّماء» (لوقا٦: ٢٢-٢٣).

المسيح يطوّب تلاميذه الرُسل الأطهار

لقد عَلَّمَ الرّبّ يسوع وجَذَبَ بتعليمه وبقوّته الإلهيّة الكثيرين عن طريق وصايا تتناقض كما ذكرنا سابقًا مع المفاهيم العالميّة. هنا أيضًا يُطَوِّب الذين يُبغِضُهُم النّاس ويُعَيِّروهُم شَرط أن يكون ذلك من أجل ٱبن ٱلبَشَر، أي من أجل المسيح إن لم يتوَفَّر هذا الشّرط يكون الإنسان المُضطهد تعيسًا. أمّا إذا كان مُعَذّبًا من أجل المسيح عندها «أجره يكون عظيمًا في السّماء» الجائزة تكون دائمًا الدخول إلى الملكوت، هذا ما يقصده بإشباع الجياع، بفرح وتعزية الباكين والمحزونين، بمعاينة الله ...

الجائزة ليست ماديّة لذلك استخدم كلمة «طوبَى» لأنّ المُطَوَّبَ لا يُكافأ مكافأةً ماديّةً تنتهي في هذه الحياة وتختفي في الأخرى.

بعد أن قال:«فهوذا أجركم عظيمٌ في السّماء» (٦: ٢٣)، أضاف «لأنّ آباءكم هكذا كانوا يفعلون بالأنبياء» (٦: ٢٣ب). هذا لكي يشجّعهم على الجهاد على غرار الأنبياء.

لا تعتقدوا إذًا أنّكم تُضطَهدون بداعي مفاهيم أخرى وتعاليم جديدة، بل بسبب شرّ سامعيكم. هذا ما يقوله الرّسول بولس:

«فإنّكم أيّها الإخوة صرتم متمثّلين بكنائس الله التي هي في اليهوديّة في المسيح يسوع، لأنّكم تألّمتم أيضًا من أهل عشيرتكم تلك الآلام عينها كما هم أيضًا من اليهود، الذين قتلوا الرّبّ يسوع وأنبياءهم واضطهدونا نحن» (١ تسالونيكي ٢: ١٤-١٥).

في هذه التّطويبة الأخيرة لا يتكلّم بشكل عام، بل يتوجّه مباشرة إلى التّلاميذ قائلًا لهم: « طوبَاكم إذا أبغضكم النّاس ...» (لو٦: ٢٢) مشيرًا إلى أنّ هذا الاضطهاد هو من نصيب المعلّمينَ والمبشّرين (الرُّسل).

«فهوذا أجركم عظيمٌ في السّماء» (٦: ٢٣).

من جهةٍ ثانية الأجر يكون ليس فقط للمُضطهَدين والمُعذّبين بل أيضًا للذين «نبذوا ٱسمَكُمْ نَبْذَ شرّيرٍ» كما في حالة أيّوب الذي لم يتزعزع إلّا عندما اتّهموه بالعذاب بداعي خطاياه وبالعقاب بداعي أعماله الرديّة.

الأعياد بين العهدين القديم والجديد (١)

شكَّلت الأعياد[١] في كل الأديان عُنصرًا جوهريًا من أركان العبادة. ولما عيَّن الربُّ نسلَ إبراهيم وشعبه إسرائيل ليأتي منه المسيح المُخلِّص في ملء الزمان، أعطاهم وصاياه العشر على يد موسى، والتي تضمَّنت الوصية الرابعة منها تقديس السبت (خر ٢٠: ٨-١١؛ ٣١: ١٤-١٧؛ لا ٢٣: ٣)، على أساس أنَّ الله قد بارَك اليوم السابع وقدَّسه واستراح فيه بعد خلقة العالم (تك ٢: ١-٣). فكان السبت هو باكورة الأعياد اليهودية، حيث يكفُّ فيه اليهودي عن الأعمال الجسدية متفرِّغًا للعبادة. وبعده تمَّ تخصيص أيام للاحتفاء بأحداث بعينها خلال مسيرة إسرائيل مع الله.

✝ عن أعياد العهد القديم:

هكذا جاءت الأعياد اليهودية، التي لم تُدرَك أبعادها الأعمق، ولم تُكشَف غاياتها الكاملة إلَّا في المسيح، بصلبه وموته وقيامته. والرب هو الذي حدَّد أعياد إسرائيل كمحافل مقدَّسة نسبها إلى نفسه: «تُعيِّدونه عيدًا للرب» (خر ١٢: ١٤)، «هذه مواسم الرب» (لا ٢٣: ٢، ٤)، ولتكون أيام فرح وعبادة ولتذكُّر مراحم الله: «بصوت ترنُّم، وحَمْد جمهور مُعيِّد» (مز ٤١: ٤).

والأعياد اليهودية الرئيسة سبعة، وهي: الفصح، الفطير، الباكورة، الأسابيع (الخمسين أو الحصاد)، الأبواق، الكفَّارة، والمظال[٢]. وأهمها ثلاثة: **الفطير** (المرتبط بالفصح)، في الربيع؛ **والأسابيع**، في الصيف؛ **والمظال**، في الخريف. ويمتدُّ الاحتفال بكل منها أسبوعًا كاملًا (خر ٢٣: ١٤-١٧؛ ٣٤: ١٨-٢٣؛ تث ١٦: ١٦).

وضمن الأعياد السبعة: فالثلاثة الأولى تأتي متتالية في الشهر الأول من السنة، والثلاثة الأخيرة تأتي متتابعة في الشهر السابع، وعيد الأسابيع يتوسَّط السبعة.

١. عيد الفصح:

تُفتَتَح دورة أعياد اليهود بعيد الفصح (خر ١٢: ٢٨؛ لا ٢٣: ٥؛ عد ٢٨: ١٦؛ تث ١٦: ١). و"فصح" تُشتَقُّ من الكلمة العبرية "بيصاح" (פסח) Pesah، وبالآرامية واليونانية "بصخا" Pascha أي "عبور"، إشارة إلى عبور الإسرائيليين البحر الأحمر (خر ١٤: ٢٢) بعد أن أكلوا خروف الفصح. ويقع عيد الفصح في الرابع عشر من الشهر الأول من السنة العبرية (أبيب أو نيسان - خر ١٣: ٤). ويستعيد الإسرائيليون في العيد طقوس الفصح التي مارسها أسلافهم من ذبح خروف حَوْلي (ابن سنة) صحيح

ذَكَر، ويأكلون لحمه مشويًّا بالنار مع فطير وأعشاب مُرَّة دون أن يكسروا عظامه: «ويكون لكم هذا اليوم تذكارًا فتُعيِّدونه عيدًا للرب. في أجيالكم تُعيِّدونه فريضة أبدية... هي ليلةٌ تُحفَظ للرب لإخراجه إيَّاهم من أرض مصر» (خر ١٢: ١٤، ٤٢).

وخروف الفصح نجد صداه في ذبيحة الصليب التي تمَّت في نفس يوم الفصح بحسب الترتيب الإلهي المُحْكَم. وإذا كان بدم الخروف على أبواب بيوت العبرانيين تمَّت نجاتهم من الهلاك (خر ١٢: ٣)؛ فإنه بدم المسيح كان الخلاص الأبدي لكل مَن يؤمن (وسنعود إلى ذلك لاحقًا بالتفصيل).

٢. عيد الفطير:

يرتبط عيد الفطير ارتباطًا وثيقًا بعيد الفصح، باقترانه أيضًا بخروج بني إسرائيل من مصر. ويُحتَفَل به في اليوم التالي لعيد الفصح (١٥ نيسان)، ويستمر - كما ذكرنا - لسبعة أيام (خر ١٣: ٦؛ ٢٣: ١٥؛ لا ٢٣: ٦؛ عد ٢٨: ١٧؛ ٢أي ٣٠: ٢١؛ عزرا ٦: ٢٢؛ مت ٢٦: ١٧). ويكاد يكون الاثنان عيدًا واحدًا[٣]، حتى أنَّ الأمر الإلهي بهما يأتي متضمِّنًا الاثنين متتاليين ومتداخلين (تث ١٦: ١-٨).

والفطير، وهو الخبز غير المختمر، هو ما أكله بنو إسرائيل مع الفصح يوم خروجهم المتعجِّل من مصر. فلم يكن هناك ما يسمح من الوقت ليختمر العجين.

ومكتوبٌ أنَّ الشعب حَمَل «عجينهم قبل أن يختمر، ومعاجنهم مصرورةٌ في ثيابهم على أكتافهم» (خر ١٢: ٣٤) حتى أنه سُمِّي "خبز المشقَّة" (تث ١٦: ٣) بما أحاط به من ذُعر واضطراب وعَجَلَة.

وتُقدَّم في كل يوم من أيامه السبعة مُحرقة: ثوران وكبش وسبعة

خراف مع دقيق ملتوت بالزيت، وتيس ذبيحة خطية للتكفير (عد ٢٨: ١٨-٢٥).

٣. عيد الباكورة:

أو عيد أول الثمار، ويلي عيد الفطير مباشرة. وقد أَمَرَ الربُّ الشعبَ عند بلوغهم الأرض التي أعطاهم إيَّاها، فزرعوها وحصدوا حصيدها، أن يأتوا بأول حصيد الشعير إلى الكاهن مُقرِّين بعمل الرب العظيم معهم: «فيُرَدِّد الحزمة أمام الرب للرضا عنكم في غد السبت (الأحد)»، ويُقدِّموا خروفًا محرقة، ومِن نتاج الأرض، ودقيقًا ملتوتًا بزيت وقودًا للرب، وخمرًا وخبزًا وفريكًا، وتيسًا للتكفير (لا ٢٣: ١-١٤؛ عد ٢٨: ٢٦-٣١).

وعيد الباكورة هو شهادة على كمال عمل الرب بدخولهم أرض الميعاد، واستقرارهم حتى تعطي الأرض ثمرتها، فيُقدِّمونها للرب شكرًا وعرفانًا (تث ٢٦: ١-١١). ولأن الكاهن يُردِّد الحزمة في غد السبت، أي يوم الأحد، فهذا العيد يُشير إلى قيامة المسيح يوم الأحد، باعتباره باكورة الراقدين القائمين من الموت إلى حياة دائمة (١كو ١٥: ٢٠)، وكل المؤمنين في القيامة يأخذون مثله جسدًا مُمَجَّدًا لا يَفْنَى (١كو ١٥: ٤٢-٤٩).

٤. عيد الأسابيع:

عيد الأسابيع (خر ٣٤: ٢٢؛ تث ١٦: ٩)، هو ثاني أهم الأعياد اليهودية [مع الفطير (والفصح) والمظال] (تث ١٦: ١٦؛ ٢أي ٨: ١٣): «وتعمل عيد أسابيع للرب إلهك... أنت وابنك وابنتك وعبدك وأَمَتك، واللاوي الذي في أبوابك، والغريب واليتيم والأرملة، الذين في وسطك... وتذكُر أنك كنتَ عبدًا في مصر...» (تث ١٦: ١٠-١٢). وهو يأتي بعد سبعة أسابيع من عيد الباكورة، أي في الصيف. وفيما بعد عُرِفَ بعيد الخمسين (باليونانية Pentecost) للاحتفال به في اليوم الخمسين بعد عيد الباكورة. وقد ربطت اليهودية المتأخرة عيد الأسابيع بتسلُّم الشريعة في سيناء كاحتفال سنوي بهذه المناسبة.

ويُسمَّى هذا العيد أيضًا عيد الحصاد، لأنه كان يُقدَّم فيه «أبكار غلاتك التي تزرع في الحقل» (خر ٢٣: ١٦) «من أبكار حصاد الحنطة» (خر ٣٤: ٢٢).

وكان يُقدَّم أيضًا أول رغيفين بخمير باكورة للرب (لا ٢٣: ١٥)، ومعهما سبعة خراف صحيحة حولية وثور وكبشين محرقة للرب، وتيس من الماعز كذبيحة خطية، وخروفان حوليَّان كذبيحة سلامة (لا ٢٣: ١٧-٢٠).

٥. عيد الأبواق:

يُحتَفَل بعيد الأبواق في اليوم الأول من الشهر السابع من السنة (أيلول/ تشرين أول - آرامي) مع بدء الخريف: «يكون لكم عطلةٌ تذكارُ هُتافِ البوق، مَحْفَلٌ مُقدَّسٌ» (لا ٢٣: ٢٤؛ عد ٢٩: ١)، «وتعملون محرقةً كرائحة سرورٍ للرب، ثورًا واحدًا... وكبشًا واحدًا، وسبعة خراف حَوْليَّة صحيحة، وتقدمتهُنَّ من دقيق ملتوت بزيتٍ... وتيسًا واحدًا من المِعْز ذبيحةَ خطيةٍ للتكفير عنكم، فضلًا عن مُحرقة الشهر وتقدمتها، والمحرقة الدائمة وتقدمتها مع سكائبهُنَّ كعادتهنَّ رائحةَ سرورٍ وقودًا للرب» (عد ٢٩: ٢-٦).

وكان الهتاف بالبوق كأمر الرب هو لمناداة الجماعة للتأهُّب بحسب المناسبة: حرب، ارتحال، فرح، أعياد، رؤوس الشهور أو بداية السنة، أو الإعلان عن أمرٍ[٤]. وقد يُكتَفَى بضرب الأبواق أو يكون مصحوبًا بالهتاف (عد ١٠: ١-١٠). وقد عرفنا عن استخدام الأبواق في التسبيح (مز ١٥٠: ٣).

والرب وهو يتكلَّم عن علامات الساعة الأخيرة، يقول إنه: «يُرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت، فيجمعون مُختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات إلى أقصائها» (مت ٢٤: ٣١). ويكتب القديس بولس: «لأن الرب نفسه بهُتاف، بصوت رئيس ملائكة، وبوق الله، سوف ينزل من السماء، والأموات في المسيح سيقومون أولًا» (١تس ٤: ١٦).

وفي سفر الرؤيا، فالأبواق في أيدي الملائكة السبعة (رؤ ٨: ٢)، وعندما يُبوِّق كل منهم تقع أحداث رهيبة. ولما بوَّق الملاك السابع، هتفت أصوات عظيمة في السماء قائلة: «صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه، فسيملك إلى أبد الآبدين». فعيد الأبواق، هو رمزٌ للمجيء الثاني للرب للخلاص الأخير (عب ٩: ٢٨؛ ١بط ١: ٥).

٦. عيد الكفَّارة[٥]:

وبالعبرية كيبور (יום כיפור) Yom Kippur[٦]، ويقع في اليوم العاشر من الشهر السابع (سبتمبر/ أكتوبر - ميلادي)،

أي بعد عشرة أيام من عيد الأبواق. وهو اليوم الوحيد في السنة الذي يدخل فيه رئيس الكهنة إلى قدس الأقداس (الذي يرمز إلى السماء) للتكفير عن خطاياه وعن خطايا الشعب.

ويستعدُّ رئيس الكهنة لهذا اليوم استعدادًا غير عادي فيما يتعلَّق بطهارته الجسدية، وبملابسه من الكتان التي سيدخل بها إلى قدس الأقداس. وتكفيرًا عن خطاياه وخطايا بيته وكهنته، يُقدِّم ثورًا كذبيحة خطية، وكبشًا واحدًا وسبعة خراف كمحرقة للرب رائحة سرور، مع تقدمة من دقيق ملتوت بزيت. وعن خطايا الشعب، يُقدِّم تيسَيْن، يُقترَع على أحدهما ليُذبح ويُرشّ دمه؛ والثاني "تيس عزازيل" يُرسَل للبرية حاملًا خطايا الشعب (لا ١٦؛ عد ٢٩: ٧-١١).

وملابسات عيد الكفَّارة وطقوسه تتصل اتصالًا مباشرًا بعمل المسيح كذبيحة كفَّارية فريدة حقَّقت فداءً أبديًا، مما سيتم تناوله لاحقًا.

٧. عيد المظال:

وبالعبرية (סוכות) "هاسوكوت" Hassukkôt، وعيد المظال Tabernacles، هو ثالث الأعياد السنوية الكبرى (مع الفطير والخمسين)؛ والتي يُحتفَل بكل منها أسبوعًا. كما أنه العيد الثالث الذي يقع في نفس الشهر السابع في اليوم الخامس عشر منه حيث يكون القمر متألِّقًا.

وخلال أيام العيد السبعة يُقيم الإسرائيليون في مظال مصنوعة من أغصان الشجر الخضراء كثيفة الأوراق، تذكارًا للأيام التي كانوا يُقيمون خلالها في أكواخ (عريشة) booths من سعف النخيل خلال ارتحالهم لأربعين سنة في سيناء بعد خروجهم من مصر: «تُعيِّدونه عيداً للرب سبعة أيام في السنة فريضةً دهرية في أجيالكم. في الشهر السابع تُعيِّدونه. في مظال تسكنون سبعة أيام... لكي تَعْلَم أجيالكم أني في مظال أسكنتُ بني إسرائيل لمَّا أخرجتهم من أرض مصر. أنا الربُّ إلهكم» (لا ٢٣: ٤١-٤٣).

وعيد المظال، هو أكثر المواسم بهجة بين أعياد بني إسرائيل: «تفرحون أمام الرب إلهكم سبعة أيام» (لا ٢٣: ٤٠) في آخر السنة الدينية، لأنه يأتي بعد جمع المحاصيل (خاصة الشعير والحنطة) والثمار (خاصة الكروم والزيتون)، ووَضْعها في الأهراء والبيادر والمعاصر، وانتظار المطر المتأخِّر لإعداد الأرض لمحصول جديد. ومن هنا فهو يُسمَّى أيضًا عيد الجمع أو القطاف Ingathering: «وعيد الجمع في نهاية السنة عندما تجمع غلاَّتك من الحقل» (خر ٢٣: ١٦؛ ٣٤: ٢٢)، «عندما تجمع من بيدرك ومن معصرتك... لأن الربَّ يُباركك في كل محصولك وفي كل عمل يديك، فلا تكون إلَّا فَرِحًا» (تث ١٦: ١٣-١٥).

وفي كل يوم من الأيام السبعة، تُقدَّم محرقات وذبائح خطية: ثلاثة عشر ثورًا، وكبشين، وأربعة عشر خروفًا حوليًّا، مع تقدمة الدقيق الملتوت بالزيت، وتيسًا من المعز. ومع كل يوم من الأيام التالية يقل عدد الثيران المُقدَّمة واحدًا حتى يصل عددها في اليوم السابع إلى سبعة ثيران. ويكون اليوم الثامن محفلًا مُقدَّسًا ويوم اعتكاف (لا ٢٣: ٣٦؛ عد ٢٩: ١٣-١٦، ٣٢-٣٥).

الشواهد والملاحظات

(١) كلمة «**عيد**» بالعبرية «**حاج חג**»، وتُشتَقُّ في العربية من الميعاد أو العودة، أي: مناسبة تعود كل سنة، أو ما يعود إليه الإنسان للإحتفال متذكرًا مبتهجًا.

(٢) هناك أعياد أخرى تأتي في مرتبة تالية مثل: «**عيد التجديد**» (**او التدشين**) (يو١٠: ٢٢)، وبالعبرية حانوكا، في الشهر التاسع/كسلو، تذكارًا لاستعادة الهيكل وتطهيره على يد **يهوذا المكابي**، عندما انتصر على **أنطوخيوس الخامس** المُلَقَّب **إبيفانوس** (١مكابيين ٤: ٣٦)، الذي كان قد اقتحم هيكل أورشليم ونهب ذخائره ودَنَّس مذبح المحرقات بذبائح الأوثان (رجسة الخراب - ١مكابيين ٦: ٧ ، دانيال ٩: ٢٧ ، مت ٢٤: ١٥). ويُسمَّى هذا العيد أيضًا **عيد الأنوار**، حيثُ تُضاء المنارة ذات الشُّعَب الثماني، وتُضَاء الشُّعبة الثامنة في اليوم الأخير، تذكارًا لعمود النُّور الذي كان يقود شعب إسرائيل في البريّة ليلًا.

وهناك أيضًا **عيد البوريم** أيام **الملكة أستير والملك أحشويرش** ملك فارس (أستير ٧: ١٠ ، ٩: ٢٢ ، ٢٦-٢٨)، والذي أسَّسه **مردخاي** ابن عم أستير لذكرى الخلاص من **هامان** مُدَبِّر المؤامرة لإهلاك اليهود، فمات على الصليب الذي كان قد أعدَّه لمردخاي. ويُحتفَل به يومي ١٤، ١٥ آذار (مارس قبل عيد الفصح.)

(٣) وإن كان يُغلَب عليه اسم **عيد الفطير**: «قُرب عيد الفطير الذي يُقال له الفصح» (لو٢٢: ١).

(٤) والرب ذَكَر التصويت بالبوق الذي يلجأ إليه المراؤون للإعلان عن صَدَقَتهم لكي يُمَجَّدوا من الناس (مت٦: ٢).

(٥) يذكر التقليد اليهودي أنَّ **يوم الكفَّارة** يوافق اليوم الذي أخطأ فيه آدم، ويوم ختان إبراهيم، واليوم الذي عاد فيه موسى من الجبل وَكَفَّرَ عن خطيئة الشعب بعد عبادته للعجل الذهبي.

(يتبع)

قصة من واقع الحياة

اللؤلؤة التي لا تُقدَّر بثمن

مُبشِّر مسيحي في الهند كان صديقًا لصائد اللآلئ "رامبهاو". وكان يقضي الكثير من الأُمسيات في كوخ هذا الصيَّاد "رامبهاو"، ويقرأ له الإنجيل، ويشرح له تدبير الله للخلاص.

كان "رامبهاو" يتمتع بحُسْن الإنصات لكلمة الله، وكلما كان المُبشِّر يدعو رامبهاو إلى الإيمان بالمسيح المُخلِّص، كان يحكُّ رأسه، ثم يردُّ على المبشِّر:

– "إنَّ الطريق المسيحي إلى السماء الذي تدعوني إليه هو سهلٌ جدًّا لي. لذلك فأنا لا أقْبلُه، لأني إذا كنتُ سوف أجد إذنًا بالدخول إلى السماء بطريقةٍ سهلة جدًّا هكذا، فإني سوف أحسُّ بأني سأكون عالة هناك، أو كمثل شحاذ مُتسوِّل سمحوا له بالدخول عطفًا وشفقة عليه. حقًّا سأكون فخورًا بذلك، ولكني أريد أن أدخل عن استحقاقٍ. أريد أن أحصل على مكاني في السماء عن جدارةٍ واستحقاق. وفي هذه الحالة سأبذل كلَّ جهدي من أجله".

ولم يجد المُبشِّر ما يقوله له ليؤثِّر على قراره. وهكذا انقضت أعوام كثيرة دون جدوى.

إلاَّ أنه في إحدى الأُمسيات، وبعد مرور هذه الأعوام، سمع المُبشِّر باب منزله يقرع. وحينما فتح الباب، إذا به يجد رامبهاو. ورحَّب به المبشِّر قائلًا: "أهلًا، يا صديقي، تفضَّل بالدخول".

ردَّ عليه صيَّاد اللآلئ:

– "لا، بل أنا أُريدك أن تأتي معي إلى منزلي، يا صاحب ، ولو لمدة قصيرة، فإنَّ عندي هناك شيئًا أريد أن أُريه لك. من فضلك لا ترفض وَتَقُل: "لا"".

– "طبعاً سآتي". هكذا ردَّ المُبشِّر سريعًا.

وحينما اقتربا من الكوخ الذي يسكنه رامبهاو، قال الصيَّاد للمُبشِّر:

– "إني سوف أبدأ في العمل من أجل الحصول على مكاني في السماء، فأنا سأبدأ رحلتي إلى **دلهي** (**العاصمة**)، وسأذهب إلى هناك سيرًا راكعًا على رُكبتيَّ".

ردَّ عليه المُبشِّر قائلًا:

– "أيها الرجل، هل أنت مجنون، فالطريق إلى **دلهي** يبلغ ٩٠٠ ميل، وأقدامك سوف تبْلَى، ورُكبتاك سوف تتفكَّكان! وقد يُصيبك تسمُّم في الدم، أو البرَص في جلدك، حتى قبل أن تصل إلى مدينة "بومباي"!"

وصمَّم رامبهاو قائلًا:

– "لا، لابد أن أذهب إلى دلهي بهذه الطريقة، والأرواح سوف تُكافئني على ذلك! وسيكون العناء والشقاء حلو المذاق. وبذلك التعب سوف أشتري دخولي إلى السماء"!

ولم يتزحزح الرجل العجوز عمَّا ينوي عليه قائلًا:

– "يا صاحب، أنت أعزُّ صديق لي على وجه الأرض، فأنت وقَفتَ معي طيلة هذه السنين الطوال أثناء مرضي. وإذا أردتَ الدقة، فأنت كنتَ لي في بعض الأوقات الصديق الأوحد. ولكنك مهما قلتَ، فلن يمكنك أن تُزحزحني عن رغبتي في شراء النعمة الأبدية... أنا لابد ذاهبٌ إلى **دلهي**"!

وفي داخل كوخ الصيَّاد كان المُبشِّر يجلس على نفس المقعد الذي صنعه رامبهاو بيديه خصيصًا له، حيث كان المُبشِّر يجلس عليه ويقرأ الإنجيل للصيَّاد.

ترك رامبهاو الغرفة ليعود بعد قليل وهو يحمل صندوقًا صغيرًا لكنه ثقيل جيد الصناعة من إنجلترا، وقال للمُبشِّر:

– "هذا الصندوق كان عندي لسنين عدَّة. وأنا أحتفظ فيه بشيء واحد فقط. وسأقُصُّ عليك عنه الآن. لقد كان لي ابنٌ...".

وقبل أن يُكمل الصيَّاد حديثه، تساءل المُبشِّر متعجِّبًا:

– ”ابن؟ كيف هذا؟ وأنت لم تُخبرني أبدًا بذلك من قبل ولا بكلمة واحدة، أنَّ لك ابنًا“!

أجابه رامبهاو:

– ”لا، يا صاحب، لم أذكر لك لأني لم أكن أستطيع“!

وفي التوِّ، وبينما هو يتكلَّم، أخذت عينا رامبهاو تغرورقان بالدموع! ثم أكمل حديثه قائلًا:

– ”الآن يمكنني أن أُخبرك عنه، لأني سأنطلق بعد قليل من الزمن، ولا أحد يعرف إن كنتُ سأعود ثانيةً أم لا؟

إنَّ ابني هذا كان أيضًا صائدًا للآلئ مثلي. كان أفضل صائد للآلئ على شواطئ الهند. وحينما كان يغطس في أعماق البحر كان خفيف الحركة، وعيناه كانتا حادَّتين جدًّا، وذراعاه كانتا أقوى ذراعَيْن، ونَفَسُه كان أطول نَفَس لأي صائد آخر، يبحث عن اللآلئ تحت أعماق البحر. كم من الفرح كان يمنحني في هذه الدنيا!

ولعلمك، إنَّ معظم اللآلئ تكون مُصابة ببعض العيوب أو الشوائب ما لا يستطيع اكتشافها إلَّا الخبير في اللآلئ. ولكن ابني كان يحلم دائمًا بالعثور على اللؤلؤة النقية من أيِّ عيب أو شائبة، والتي لا يمكن العثور على مثلها.

وفي يوم من الأيام وَجَدَها! ولكنه حينما رآها، كان قد مضى عليه مدة طويلة وهو تحت الماء. وهكذا، كلَّفته هذه اللؤلؤة حياته، فقد مات بعد خروجه بقليل من تحت سطح البحر“.

† وحنى صائد اللآلئ العجوز رأسه، وأخذ جسده كله، إلى لحظةٍ، ينتفض ثم أكمل كلامه:

– ”لقد احتفظتُ بهذه اللؤلؤة طيلة هذه السنوات الطويلة، وهأنذا عازمٌ الآن – وبلا تردُّد – أن أُقدِّمها لك، يا أعزَّ صديق، ولا رجعة في قراري هذا“.

وأخذ الرجل العجوز يفتح أقفال الصندوق الثقيل، ثم يسحب من داخله صُرَّةً ملفوفة بعناية. ثم فكَّ شريطًا من القطن مُحيطًا باللؤلؤة، بمنتهى الحرص. ثم التقط ما يُسمِّيها ”لؤلؤة الماموث“، ووضعها بين يديِّ المُبشِّر.

لقد كانت واحدة من أكبر اللآلئ حجمًا التي سبق أن عثر عليها صيادو اللآلئ في البحر على شواطئ الهند. وكانت تشعُّ ببريقٍ ولمعانٍ لم يسبق أن شوهِد مثلهما بين اللآلئ الثمينة. وقد كان يمكن بيْعها بثمنٍ خرافي في أيِّ سوق من أسواق الأحجار الكريمة.

وظل المُبشِّر صامتًا إلى لحظةٍ، وهو يتأمَّل برهبةٍ هذه اللؤلؤة، إلى أن نطق أخيرًا:

– ”ما أروعها لؤلؤة! يا رامبهاو“!

وردَّ عليه الصيَّاد الهندي بهدوء:

– ”هذه اللؤلؤة، يا صاحب، هي رائعة تفوق حدَّ الكمال“.

وحينئذ طرأت فكرة على ذهن المُبشِّر وهو ينظر إلى اللؤلؤة، وقال في نفسه:

– ”أليست هذه الفرصة الآن مناسبة؟ وكنتُ كثيرًا ما أُصلِّي إلى الله أن يوفِّرها لي، لكي أستطيع أن أجعل رامبهاو يفهم ويُقدِّر قيمة ذبيحة المسيح التي قدَّمها على الصليب من أجل حياة العالم“.

وحينئذ بادر المُبشِّر بسؤال الصيَّاد عن قصدٍ:

– ”رامبهاو، هذه اللؤلؤة رائعة. إنها مُذهلة! اسمح لي أن أشتريها. وأنا مستعدٌّ أن أدفع فيها عشرة آلاف دولار“.

أجابه رامبهاو: ”يا صاحب! ماذا تقصد“؟

ووقف رامبهاو منتصبًا بكل جسمه، وهو يقول:

– ”يا صاحب، هذه اللؤلؤة تفوق كل ثمن. لا أحد في كلِّ العالم عنده ما يكفي من مال ليدفع قيمة هذه اللؤلؤة، ولا بملايين الدولارات. أنا لن أبيعها لك، ولكني فقط أرجوك أن تقبلها مني هدية“!

ردَّ عليه المُبشِّر قائلاً:

– ”لا، يا رامبهاو، لا يمكنني أن أقبل ذلك، بالرغم من أنني أُريد هذه اللؤلؤة. لكنني لن أقبلها بهذه الطريقة! ربما أنا فخورٌ بهديتك الثمينة تلك، لكنني لابد أن أدفع ثمنها، وأفعل كل ما في استطاعتي حتى أقتنيها“.

وتعجَّب صائد اللآلئ العجوز من هذا التصرُّف، قائلًا:

– ”أنت لم تفهمني على الإطلاق، يا صاحب، أَلا ترى؟ إن ابني الوحيد بذل كل حياته ليحصل على هذه اللؤلؤة الثمينة، وأنا لن أبيعها بأيِّ ثمن. إن قيمتها تساوي دم حياة ابني. أنا لا يمكنني بيعها. ولكنني أقدر فقط أن أَهَبَك إيَّاها كهدية. اقبلها، إذن، كتذكارٍ لمحبتي التي أُكِنُّها لك“!

دُهِشَ المُبشِّر من إجابة الصيَّاد العجوز، وإلى لحظاتٍ لم يستطع أن يرُدَّ. وهنا أمسك بيد الرجل العجوز، واستطرد يقول:

– ”يا رامبهاو، أَلا ترى؟ إن كلماتي هي نفس ما كنتَ أنت تقوله لله دائمًا“.

ونظر الصيَّاد إلى وجه المُبشِّر بنظرةٍ ثاقبة طويلة، وقليلًا قليلًا

يفهم! حينئذ قال له المُبشِّر:

– ”الله قد وَهَبَ لك خلاصه كعطيةٍ مجانية. إنها عطية غالية جدًّا، وليس هناك ثمن يمكن لأيِّ إنسان على وجه الأرض أن يشتريها به. إن حياة الإنسان لا يمكن أن يشتريها أحد ولا بملايين السنين. ولا يوجد مَن هو صالح بالقدر الذي يكفي لاستحقاق الحياة الأبدية في السماء. إنها كلَّفت الله دم حياة ابنه الوحيد، ليفتح لك الطريق إلى الحياة الأبدية. ولا بملايين السنين، ولا بمئات الأسفار سيرًا على الأقدام، يمكن عن طريقها أن تنال الدخول إلى الحياة الأبدية. كل ما يمكنك فعله هو أن تقبل هذه الهبة كتذكار محبة الله لك، أيها الإنسان“!

واستطرد المُبشِّر في حديثه قائلًا:

– ”يا رامبهاو، طبعًا أنا سأقبل اللؤلؤة بمنتهى الاتضاع العميق، مُصلِّيًا لله أن أكون مستحقًّا لمحبتك. رامبهاو، ألا تقبل أنت أيضًا هدية الله العظيمة الثمينة بالحياة الأبدية في السماء، بمنتهى الاتضاع أيضًا، عالمًا أنها كلَّفته موت ابنه الوحيد، ليَهَبك الحياة الأبدية“؟

وحينئذ انهمرت الدموع الغزيرة على وجنتَي الرجل العجوز. وبدأ الحجاب يرتفع، والغشاوة تنقشع. وردَّ الصيَّاد العجوز قائلًا:

– ”يا صاحب، إني أراه الآن. لقد آمنتُ في السنتين الأخيرتين بالرب يسوع ابن الله، لكنني لم أستطع أن أومِن بخلاصه الموهوب لي مجانًا. الآن فهمتُ: هناك بعض الأشياء لا يمكن بيعها وشراؤها حتى ولو بثمنٍ غالٍ جدًّا، لأن ثمنها أغلى من أن يقدر أي إنسان على الأرض أن يدفعه لاقتنائها، فثمنها هو سَفْك دم حياة ابن الله الوحيد الذي هو الحياة الأبدية. **الآن، أومِن بخلاص الرب يسوع ابن الله“!**

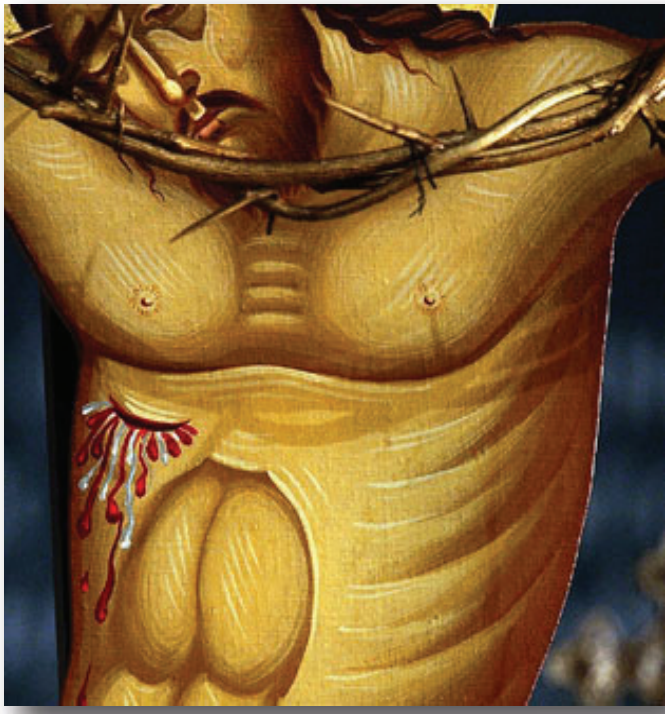

وللوقت خرج دمٌ وماء، والذي عاين شَهِدَ ، وشهادته حقٌّ (يو ١٩: ٣٥)

«يُشبه ملكوت السموات إنسانًا تاجرًا يطلُب لآلئ حسنة. فلما وجد لؤلؤةً واحدةً كثيرة الثمن، مضى وباع كل ما كان له واشتراها» (مت ١٣: ٤٥، ٤٦).

† ”لنا الجوهرة، اللؤلؤة الكثيرة الثمن، الاسم الحُلو المملوء مجداً الذي لربنا يسوع المسيح. إذا ما لازمناه في إنساننا الداخلي فهو يجعلنا أغنياء حتى نُعطي آخرين“ .

† «لأنه هكذا أحبَّ الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦).

سرُّ الصليب

للقديس غريغوريوس النيصي

[لذلك، فإن كنتَ تأخذ بعين الاعتبار نظام الأشياء، سواء تلك التي هي فوق السموات، أو تلك التي تحت الأرض، أو تلك التي عن جانبَي الكون على أيٍّ من الجانبين؛ ففي كل مكان، فإنَّ وجود اللاهوت يسبق تفكيرك الخاص، باعتبار أنه هو القوة الوحيدة الجديرة بالتأمُّل التي يمكنه بها أن يضبط ويحفظ وجود كل الأشياء. الآن إذا كان علينا أن نُسمِّي هذا الوجود، فهل نُسمِّيه **اللاهوت، أو العقل، أو القوة، أو الحكمة، أو أي مصطلح فائق آخر قد يكون أكثر قدرة على التعبير عن ذاك الذي هو فوق الكل**، لأنه ليس في مناقشتنا أية خصومة مع أيِّ لقب، أو اسم أو أية طريقة نستخدمها في التعبير. وبهذا، فكل الخلائق تتوجَّه نحوه بالنظر إليه، وهي تكون على مقربة منه وحوله، ومن خلاله هي متلاحمة ببعضها، الأشياء الفوقية هي من خلاله ملتصقة بالأشياء التحتية، والأشياء الجانبية متَّحدة ببعضها. والحق يُقال إنه ليس بالاستماع فقط نصل إلى الفهم الكامل للأُهوت، ولكن هذا الإدراك أيضًا يجب أن يكون مُرشدنا للتفكير في هذه المواضيع السامية. وقد كان من عمق البصيرة أن يبدأ العظيم بولس (في رسالة أفسس ٣: ١٨) في تلقين الأسرار لأهل أفسس، ويبثُّ فيهم – من خلال تعاليمه – قوة المعرفة عما هو هذا ”**العمق والعُلو والعرض والطول**“].

الأرثوذكسيّة
قانون إيمان لكل العصور
(٤٢)

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

مَن صَلَبَ ٱلمسيح ؟

عندما نتواجه مع السؤال فإننا نتراجع رهبة. إننا مُستعدّون أن نلوم أي شخص آخر إلَّا أنفسنا. إن كُنا نغسِل يدَيْنا من دم هذا الإنسان، فنحن نرتكب جريمة كبيرة ضدّ كلّ الجنس البشري. إننا نلوم اليهود لأنهم قتلوا المسيح، نلومهم بسبب هذه الجريمة التي يتعذَّر التكفير عنها.إنَّنا اضطهدناهم لقرونٍ طويلة كَقَتَلَة المسيح، إننا قتلنا ملايين منهم في مذابح مُتعدِّدة، وليس هذا فقط جريمة كبيرة فقط ولكن أيضًا مُعتقد خاطىء. ليس كل الشعب اليهودي هو الذي فعل هذا، وليس اليهود العاديون، ولكن مجموعة صغيرة من رجال الشَّرع والقانون المُتعصِّبين للدِّين، هم الفرّيسيون والصدُّوقيُّون الذين عارَضوا وقاوَموا يسوع، وفي النهاية أدانوه زورًا. إن الاثني عَشر رسولًا، وبولس الرسول، كلهم كانوا يَهودًا !

إنَّ الكهنة الذين حاكموا يسوع وأدانوه كانوا كهنة حقيقيِّين للإله الحقيقي. لم يقُل يسوع غير هذا، ومع ذلك كانوا هم الذين خطَّطوا وحرَّكوا جريمة الصَّلب. لم يكن المُجرمون ولا حثالة المُجتمع ولا نفاية الأرض هم الذين صلبوا يسوع، بل كان من هؤلاء مَن صُلِبَ مَعهُ، أمَّا الذين أسلَموا يسوع ليُصلَب فقد كانوا من هؤلاء الذين يُدعَون اليوم: «الصالحين أو المتديِّنين أو شعب الكنيسة أو الذين يُحامون أو يترافعون عن القانون والشريعة والنظام»، كانوا القادة لأفضَل الحركات الدينيِّة في هذا الوقت. إنهم المواطنون المُحترمون والمُطيعون للناموس. وبكلمات أُخرى، أشخاصٌ مثلي ومثلك تمامًا! إنَّ الأشياء التي أَودَت بيسوع إلى الصَّليب في القرن الأوَّل، هي نفسها التي لا تزال تعمَل بي وبكَ اليوم، وهي تُزعِج وتُقلِق الله الآن في هذه الأيام تمامًا كما فَعَلَت في الماضي. وطالَما يوجَد الشرّ في العالَم، فالحَمَل لا زال يُذبَح.

يَكتُب راهب غير معروف ٱسمه من ٱلكنيسة ٱلشرقيّة ويقول: «سَيِّدي، إنَّ آلامك لم تَنتَهِ بعد، إنَّ جروحك لا زالت تُدمِي، لا زالوا يصلبونك في نفس اليوم، أين؟ على الواحد أن يقرأ فقط الجرائد ليعلم هذا! سَيِّدي، جسدك يتعذَّب، يُصلَب في كل مكان وفي كل وقت، في أعضائك البشريَّة» (متى ٢٥).

على عهد بيلاطس ٱلبُنطِي

لمَّا أُدرِجَ رجُل سياسي غامِض مِن مقاطعةٍ بعيدة في الإمبراطوريّة الرومانيِّة في قانون الإيمان؟ ليس لسبب آخر غير أن تَطبَع فينا أن حياة يسوع كلها، موته وقيامته ليست أُسطورة أو مسرحيَّة، ولكن حَدَثٌ تاريخي حقيقي في زمن مُعَيَّن، وبالتحديد في عهد بيلاطس البُنطي لمَّا كان واليًا على اليهوديَّة (٢٦م – ٣٦م)، بل ويُحَدِّد القدِّيس لوقا هذا الحَدَث بأكثر دِقَّة:«وفي السَّنة الخامسة عشرة مِن سَلطَنَة طيباريوس قيصَر إذ كان بيلاطُس البُنطي واليًا على اليهوديَّة وهيرودس رئيس رُبْع على الجليل وفيلبُّس أخوه رئيس رُبع على إيطوريَّة وكورة تراخونيتس وليسيانوس رئيس رُبع على الأبليَّة، في أيام رئيس الكهنة حنان وقيافا، كانت كلمة الله على يوحنا بن زَكريَّا في البريَّة» (لو٣: ١ و ٢). لقد ذُكِرَ ٱسم بيلاطس (وآخرين) ليؤكِّد أن يسوع شخص تاريخي حقيقي، سمعه الناس الذين كانوا موجودين في هذا الزمان، ورأوه بعيونهم ولمسوه بأيديهم (١يو١: ١). إنَّ الأساطير ممتلئة بقصص الآلهة مثل أُوزوريس في مصر الذي قُتِلَ ثم عاد بعد ذلك من الموت، أمَّا قصَّةيسوع فليست إطلاقًا أُسطورة، إنها واقع تاريخي، لقد وُلِدَ يسوع في حُكم أُغسطوس قيصَر إبان إحصاء رسمي، وصُلِبَ بعد حوالي ٣٢ سَنة من ميلاده أيام **ولاية بيلاطُس البُنطِي**. لا يوجَد أي تلفيق أو ٱختلاق أو أثَر للتصوُّر والخيال هنا، لا أُسطورة ولا خرافة، إنَّما حقيقة دامِغة.

كإيمان تاريخي، فإنَّ المسيحيَّة تختلف عن كافة الديانات الأُخرَى الكُبرَى للبشريَّة، فإذ أخذنا (**البوذيَّة**) كمثال، فلا يختلف في البوذيَّة ما إذا كان **الجواتاما بوذا** قد عاش حقيقة أم لا، ولكن المهم ليسَ الرَجُل أو حياته إنَّما تعاليمه، وأنَّ (الإستنارة) التي نادى بها يمكن أن يُشارِك فيها الجميع. كذلك فإنَّ وجود **كونفوشيوس** أمرٌ غير مهم بالنسبة للديانة الكونفوشيوسيّة، إنَّما المهم هو ما قالَه كونفوشيوس وليس ما فعَلَه. إنَّ كلتا الديانتين إنَّما هي: «ديانات تاريخيّة».

أمَّا **قانون الإيمان النيقاوي** فهو على العَكس ينصّ على أنّ يسوع صُلِب على عهد بيلاطُس البُنطي، ليؤكِّد أن ما عمله يسوع هو أهم مِمَّا قالَه يسوع. لهذا السبب فإنَّ قانون الإيمان يحكي لنا قليلًا جدًّا عمَّا قاله يسوع، ولكنه يُعلِن تمامًا أحداث حياته: **ميلاده وآلامه ومُعجزاته وموته وقيامته**.

٢١ – أشعياء يتنبأ بتجسّده من العذراء

بقي علينا أن نعرف ممن يأتي وبأي كيفية. أشعيا هو الذي يقول ذلك: «إنّ العذراء ستحمل فتلد ابنًا يُدعى عمانوئيل» (أشعيا ٧:١٤)؛ لكن اليهود يعارضوننا في ذلك (ومقاومة الحقّ عادةٌ قديمة عندهم) إذ يقولون إنه لم تكتب «العذراء» بل «الفتاة». فليكن. لِنُسايرهم، وهكذا سنجد الحقيقة، إذ في وسعنا أن نسألهم: متى تصرخ الفتاة المغتصبة طالبة النجدة، قبل الاعتداء أم بعده؟ واذا كان الكتاب يقول في موضعٍ آخر: «صرخت الفتاة فلم يكن من يخلّصها» (تثنية ٢٢:٢٧)، أفلا يتكلّم هنا عن عذراء؟ ولكي تعلم بوضوح أن العذراء في الكتاب تدعي فتاة، إسمع ما جاء في سفر الملوك عن ابيشاج الشونميّة: «كانت الفتاة جميلةً جدًّا» (٣ ملوك ١:٤). لا بدّ من التسليم بأنها اختيرَت بسبب بتوليتها وأُحضِرَت الى داود.

٢٢ – ردّ اعتراض اليهود بخصوص هذه النبوءة

ولكن اليهود يلحّون قائلين: هذه الكلمات قيلت لآحاز عن حزقيا. لأننا هكذا نقرأ في الكتاب: «سَل لنفسك آية من عند الرب إلهك؛ سلها إما في عمق الجحيم وإما في العلاء من فوق» (أشعيا ٧:١١). والآية بكل تأكيد يجب أن تكون خارقة، فالعلامة كانت الماء الخارج من الصخرة (خر١٧:٦) أو إنشقاق البحر الأحمر (خر١٤:٢١ – ٢٢) أو رجوع الشمس الى الوراء (٤ ملوك ٢٠:١١) وما شابه ذلك. سيكون لِمَا سأقوله قيمة دليلٍ واضح ضدّ اليهود. **(إنّي أعلم أني أتكلّم كثيرًا، وانّي أُتعِب مستمعيّ، ولكن تحمّلوا عظاتي الطويلة، بما أن هذه المسائل تُثار أيضًا فيما يتعلّق بالمسيح. وأنّه يجب الا يهمل شيء في هذا المجال)**. قال أشعيا هذا في الوقت الذي كان آحاز مَلكًا، وقد مَلَكَ آحاز ستة عشر عامًا فقط (٤ملوك١٦:٢)، وَوُجِّهَت إليه النبوءة في ذلك الوقت. وهكذا يُبطل خلفهُ الملكُ حزقيا بن آحاز دعوى اليهود. لأنه كان في الخامسة والعشرين من عمره عند توليه المُلك (٤ملوك ١٨:٢). وإذ قيلت النبوءة في خلال الستة عشر عامًا. فيكون قد وُلِدَ قبل مُلك آحاز، أي تسع سنوات على الأقل قبل النبوءة؛ فما الحاجة إذن إلى التنبؤ عن طفل وُلِدَ قبل مُلك آحاز، لأن النبي لم يَقُل: «**قد حملت**» بل قال بصيغة التنبؤ: «**ستحمل**»

٢٣ – ابن العذراء هو المسيح حقًّا:

إننا نعرف أن الرّب يولد من عذراء؛ بقي أن نُبيِّن مِن أي نسل هذه العذراء: «أقسَمَ الربُّ لداود حقًّا عنه لن يحيد: لأنصبّنّ من ذُريتك على عرشك مَلكًا» (مز١٣١:١١) ، وأيضًا: «أجعل ذُريته خالدة وعرشه مثل أيام السماء» (مز٨٨:٣٠)؛ وأخيرًا: «لقد أقسمتُ مرّة بقدسي ولن أكذب: داود ذريته تكون خالدة ويتلألأ عرشه أمامي كذُكاء (شديد التوهّج)، يدوم كالقمر أبدًا ويكون في الفلك شاهدًا أمينًا» (مز ٨٨:٣٦ – ٣٧). أنتَ ترى أن الحديث يتناول المسيح لا سليمان. وإذا احتَجّ أحد بقوله أن المسيح لم يجلس على عرش داود الخشبي، فإننا نواجهه بهذه الآية: «على كرسيّ موسى جلس الكتبة والفريسيون» (متى ٢٣:٢)، لأن الأمر لا يتعلّق بالكرسيّ الخشبيّ بل بسلطة التعليم. وهكذا لا يعني عرش داود الكرسيَّ الخشبيّ بل المُلك نفسه. وهذا ما كان يؤكّده الأطفال عندما كانوا يصرخون: «هوشعنا لابن داود، تبارك الآتي بإسم الربّ مَلك إسرائيل» (متى ٢١:٩ ؛ يو١٢:١٣). وكذلك كان العميان يصرخون: «إرحمنا يا ابن داود» (متى ٩:٢٦). ولقد أكّد جبرائيل ذلك لمريم بكل وضوح، عندما قال: «ويوليه الله ربنا عرش أبيه داود» (لو١:٣٢). ويقول بولس: «أُذكر يسوع المسيح الذي بُعث من بين الأموات، وكان من ذرية داود كما جاء في بشارتي» (٢ تيمو ٢:٨). وفي مستهل رسالته الى أهل رومية يقول: «... في شأن ابنه الذي وُلِدَ من ذرية داود، وَأَطِعْ للنبوءة القائلة: «سيأتي ذلك اليوم حيث أصل يَسّى سيقوم رايةً للشعوب، وإيّاه تترجّى الأمم» (أشعيا ١١:١٠).

العهد القديم في الكتاب المقدس (٨٤)

أمون: (٦٤٢–٦٤٠ ق.م.) (١مل٢١ ،٢ أخ٣٣)

خَلَفَ أباه منسّى على عرش يهوذا ومع أنَّ منسّى قَدَّم توبة في نهاية أيامه، إلَّا أنّ ابنه أمون سار في سياسة أبيه القديمة، وتصالح مع الحزب الوثني وانتكست المملكة إلى أسوأ ممارسات الوثنيّة البغيضة، وبعد حُكمٍ سيّء دام سنتين وفي احدى الثورات اغتاله خَدَم بيته.

يوشيّا: (٦٤٠–٦٠٩ ق.م.) (٢مل٢٢ ،٢ أخ٣٤،٣٥)

بموت أمون اعتلى العرش ابنه يوشيّا وهو في الثامنة من عمره، ويُحتَمل أن يكون لأمّه تأثير على شخصيّته، وقد تولّى مقاليد الحُكم وهو في السادسة عشرة، فَشَرَع على الإصلاح الديني وكان أحسن ملوك يهوذا، وقد صاحَب فترة حُكمه تغيرات في المملكة وتحولات في أجواء الدول القويّة من جهة سياستها وصراعاتها، وسوف نستعرض هذه الأحداث:

أولًا: إصلاحات يوشيّا: كان حُكم يوشيّا ينعم بالخير الكثير فحدثت إصلاحات بالمملكة لا تَقِلّ عن إصلاحات حزقيا، فكان سقوط المملكة في عهد منسّى وأمون، فتم إحياؤها في عهد يوشيّا، وكانت مكانة أرميا في عهده كما كانت لأشعيا في عهد حزقيا، وكانت النبيّة **خلدة** مصدر وحي في الإصلاحات الدينيّة، وحينما بلغ يوشيّا العشرين سنة طَهَّرَ أورشليم من فلول الوثنيّة وجدَّد الاحتفال بالفصح ورمّم الهيكل، وأثناء العمل اكتشف سفرٌ قديم للشريعة والذي يبدو أنه فُقِدَ أيام حُكم منسّى الحالكة الظُلمة، وساهم إرميا النبيّ في العمل على نشر الشريعة، وكان ينذر الشعب أن يرجع عن ذلك الفساد الذي تغلغل فيه وإلَّا ستكون الدينونة وخراب أورشليم ، وأنَّ كارثة وشيكة الحدوث، ووجد يوشيّا الفرصة سانحة بعد أن سحبت أشور جنودها من مملكة يهوذا لمواجهة الخطر البابلي الذي تجدّد، وتَمَكَّنَ يوشيّا أن يمدّ سلطانه على الأسباط العشرة وعمَّت النهضة الدينيّة بأمر الملك، وأُزيلَت عبادة البعل من بيت إيل والسامرة وغيرها من مُدن الشمال، وطاف يوشيّا بنفسه ليشرف على أعمال الإصلاحات، فارتفعت المملكة إلى درجةٍ عالية من الرفاهيّة والازدهار.

ثانيًا: بابل الجديدة وأُفول نجم أشور: بعد أن تكرّرت هزائم مصر أمام أشور وتراجع ترهاقة أمام أشور بانيبال إلى طيبة وتَقَدُّم الجيش الأشوري واستيلائه على طيبة؛ بهذا وَسَّعت أشور ممتلكاتها ووصلت إلى قمّة مجدها **سنة ٦٦٣ ق.م.** ، ولكن هذا المدّ للإمبراطوريّة لم ترافقه السيطرة القويّة، فابتدأت الإمبراطورية تنحسر، واضطرّ أشور بانيبال في معظم سني حكمه أن يُحارب ضغطًا من طرفيّ الإمبراطوريّة، فقد تحرَّكت القوّتان، وقد نجحت مصر في أن تسترد ٱستقلالها، وفي بابل ظهر الأمير الكلداني **نبوبلاصر** الذي قاد الحرب ضدّ أشور حتى ٱستقلّت بواسطة المساندة الفعّالة من مادي وفارس، وبدأت موارد أشور تَنضُب مما أرهَقَ الإمبراطوريّة التي بدأت في الانحلال وأشرَفَ نجمها على الأفول.

ثالثًا: التعاون الأشوري المصري: رأى **نخو الثاني (٦٠٩-٥٩٣ ق.م.) بن بسماتيك آخر الفراعنة الأقوياء من الأسرة ٢٦**، أن الفرصة سانحة في مدّ إمبراطوريته، فتقَدَّم في مساعدة الأشوريين في المعركة ضدّ بابل، وأنّ التعاون الأشوري المصري في تلك الآونة يبدو غريبًا، ومن المرجّح أنه جاء مقابل تعهّدات غير مُعلَنة من قِبَل الأشوريين بضمان ٱستقلال المصريين وعدم تكرار محاولات السيطرة الأشوريّة على مصر، تلك التي تكرّرت في الفترة الأخيرة من حُكم الدولة الأشوريّة، وكان في مصلحة مصر أن تقدّم المساعدة لأشور ضد تقدّم بابل تلك القوّة الجديدة التي أثارت مخاوف مصر، فلا تحلّ بابل القويّة محل أشور التي وَهَنَت قوّتها وَضَعُفَ سُلطانها، وبالأضافة إلى ذلك فإنّ تَحَرُّك المصريين إلى ساحة المعركة يعزّز وجودهم ويعطيهم الفرصة لفرض أنفسهم كقوّة سياسيّة وعسكريّة مستهدفين من وراء ذلك إعادة نفوذهم في سوريا وفلسطين.

رابعًا: أُفول شمس يهوذا للغروب: كان **نخو** يتقدّم لمساعدة الأشوريين، وبينما هو في طريقه يتقدّم بجيشه إلى أعالي الفُرات متّخذًا طريق البحر المتوسط، ولم يكن في نيّته وهو يعبر في أرض يهوذا أن يحارب يوشيّا ملك يهوذا، لكن النزق دفع يوشيّا إلى التدخل واعترض الجيش المصري الذي كان يتقدّم متّجهًا نحو الشمال الشرقي عبر وادي يزرعيل، وكان يوشيّا قد أعاد بناء مجدّو وَحَصَّنَ قَصره فيها وجعلها عاصمة إدارية، لكن **نخو** تمكّن من القَبض عليه وقتَلَه، وقَبَضَ المصريون على جيش يوشيّا بسهولة وسُوّيَ حصن مجدّو بالأرض، وتابع الجيش المصري سيره إلى أعالي الفرات، وبهذه النهاية السّيئة إنتهى العصر المجيد لمملكة يهوذا بكارثة موت يوشيّا **سنة ٦٠٨ ق.م.** ، والذي كان آخر الملوك الذين ساروا مع الله، مما أثقَلَ إرمياء النبيّ بحزنٍ شديد عَبَّر عنه في تلك المراثي العظيمة، المعروفة بمراثي أرمياء النبيّ.